





الأرض الملعونة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ جثة فى القطار ..

تحرك القارب البدائى فوق مياه المستنقع ببطء يتناسب مع حركة المجداف ، الذى يستخدمه الهندى ذو الجسد الضئيل ..

ولم تكن حركة ساعديه البطيئة فقط هى سبب بطء سرعة القارب ، بل نظراته الزائغة ، وتلفته حول نفسه من آن لآخر ، وهو يتطلع إلى الأحراش المحيطة بالمستنقع ، مرهفًا السمع ، كما لو كان يستمع لأصوات الشياطين .. بدا واضحًا أن ذلك الرجل الهندى يشعر بالخوف من شىء مجهول ، أو خطر يرتقب حدوثه ..

ولم يرق ذلك للرجل الآخر الذى كان جالسًا فى مقدمة القارب ، فصاح فيه مبديًا ضيقه :

ـ ألا يمكنك أن تسرع أكثر من ذلك ؟

قال الهندى بصوت خافت وكأنه يخشى أن يسمعه أحد :

ـ إننى أبذل أقصى جهدى يا سيدى .

لكن الرجل الآخر قال ممتعضًا :

ـ أين هذا الجهد الذى تبذله ؟ إنك تجدف بيد مرتجفة .. وتتوقف عن التجديف من آن لآخر ، وأنت

تتطلع إلى المكان بنظرات زائغة ، وكأنك تخشى أن تنقض عليك الشياطين بين لحظة وأخرى .

قال الهندى بصوت مرتعد :

ـ أرجوك لا تذكر هذه الكلمة هنا ..

ابتسم الرجل قائلاً :

ـ آه .. نسيت أنك تنتمى إلى إحدى القبائل الهندية القديمة ، ولابد أنك تحمل بعض معتقداتهم المندثرة ، وما يدور برءوسهم حول تلك الخرافات التى تتحدث عن الشياطين والأرواح وغيرها ..

عاد الهندى يقول له بتوسل :

ـ أرجوك يا سيدى .. لقد قلت لك لا تذكر هذه الكلمة هنا .. فهذا قد يحركهم من رقادهم .

ابتسم الرجل مرة أخرى وهو يبدى استغرابه من تلك الأوهام التى تسيطر على الهندى وقال :

ـ حسن .. حسن .. ولكن ليتك أحضرت معك مجدافين إضافيين ، لكى يمكننى مساعدتك على دفع هذا القارب بسرعة أكبر من سرعة السلحفاة هذه .

وتناول من يده أحد المجدافين قائلاً :

ـ على كل حال سأحاول تعويض هذا الوقت ، ولو باستخدام أحد المجدافين ..

كان طنين الحشرات يكاد يخترق الآذان ، تتخلله أصوات الزواحف من آن لآخر .

وتلك الأعشاب والأشجار البرية التى تتدلى فروعها وأغصانها على جانبى المستنقع ، تسهم فى إضفاء جو من الرهبة والغموض يناسب مخاوف الهندى .

وبرغم ملامح الصلابة التى يبديها الرجل الذى يرافقه فى القارب ، إلا أن شيئًا من الخوف والرهبة كان يسرى فى نفسه . وهو يحاول التغلب عليه ..

وسأل الرجل دليله الهندى :

ـ ألم يسبق لك أن جئت إلى هذا المكان من قبل ؟

أجابه الهندى قائلاً :

ـ إننى لم أخض بقاربى كل هذه المسافة داخل المستنقع .. ولولا حاجتى الشديدة للمال الذى قدمته لى ، ما خاطرت بالمجئ إلى هنا .

عاد الرجل ليسأله قائلاً :

ـ أيخيفك المكان إلى هذا الحد ؟

أجابه الهندى :

ـ إن هذا المكان قريب من الأرض الملعونة .

تساءل الرجل بدهشة :

ـ الأرض الملعونة ؟!.

— نعم .. إنها أرض تسكنها الشياطين ولم يسبق لأحد أن ذهب إلى هناك وعاد حيًّا ..

ابتسم الرجل قائلاً :

— حذار .. فقد ذكرت أسماءهم مرة أخرى .

قال الهندى بخوف :

— أرجوك استمع إلىّ يا سيدى .. لاتذهب إلى هذا المكان .. إن هذا المكان .. إن هذه الأرض محرمة على البشر .

قال الرجل ، وهو ينظر حوله بتوتر :

— لقد فات أوان النصيحة ياصديقى .. فأنا أعتقد أننا قد اقتربنا من تلك المنطقة التى نقصدها .

قال ذلك وهو ينشر أمامه خريطة حملها معه مشيرًا إلى موقع محددًا بينما قال الهندى وهو يوقف القارب بالقرب من أحد شاطئى المستنقع :

— نعم يا سيدى .. لكننى لن أستطيع أن أواصل معك السير بالقارب أكثر من ذلك .

قال الرجل معترضًا :

— ولكن بقيت أمامنا بضعة أمتار فقط ..

أجابه الهندى :

— تستطيع أن تواصلها سيرًا على الأقدام عبر هذه

الأحراش .. أما أنا فلا أستطيع أن أتقدم بقاربى فى مياه المستنقع أكثر من هذا .

قال الرجل محاولاً إغراءه :

— يمكننى أن أنقدك مبلغًا آخر من المال .

قال الهندى بتصميم :

— وفر نقودك ياسيدى .. فكل أموال الدنيا لن تجعلنى أتخطى هذا الجزء من المستنقع .

قال له الرجل وقد أدرك أنه لا جدوى من محاولة التأثير على هذا الهندى :

— حسن .. ولكن تذكر أن اتفاقنا ينص على أن تنتظرنى حتى أعود من مهمتى .

قال له الهندى :

— ليس أكثر من نصف ساعة .

أجابه الرجل وهو ينهض لمغادرة القارب :

— لو سارت الأمور على النحو الذى أتمناه .. فلن يطول بى الوقت ليصل إلى نصف الساعة .

وقبل أن يضع قدميه على شاطئ المستنقع ، عاد الهندى ليحذره قائلاً :

— مرة أخرى أحذرك يا سيدى من الذهاب إلى هذه الأرض التى تقع وراء الأحراش .

قال الرجل محاولاً التغلب على مخاوفه التى بعثتها فى نفسه تلك النظرات الهلعة فى عينى الهندى :

– حذار ألاّ تنتظرنى حين عودتى !

وسارع بالاندفاع بين الأحراش ، تاركاً الهندى جالسًا فى قاربه وقد أخذ يرقب ابتعاده وهو يتمتم قائلاً :

– سأنتظرك كما وعدت .. ولكنى واثق من أنك لن تعود .

بذل الرجل جهدًا غير عادى لتخطى الأوحال الطينية المحيطة بالمكان .. وإزاحة أغصان الأشجار المتشابكة عن طريقه .

وبينما هو يبعد أحد فروع الأشجار التى تعترض مسيرته إذا بيده تتجمد وهى قابضة على الفرع ..

فقد رأى إحدى الحيات تزحف فوقه على بعد سنتيمترات قليلة من يده ..

وببطء وحذر امتدت يده الأخرى نحو السكين المعلق حول ظهره ، لتقبض على مقبضه ، وقد بللت حبات العرق جبينه ..

سحب سكينه فى هدوء وتؤدة ، بينما لسان الحية يكاد أن يلامس أصابعه .. وفجأة انقض بسكينه فى قوة ليهوى بحده على عنقها بضربة واحدة ، أطاحت بهذا العنق وقطعت معه جزءًا من فرع الشجرة .

وسقط رأس الحية أسفل قدميه فأخذ يضربها بقوة بحذائه فى حركات عصبية عنيفة تعبر عن توتره .

ومالبث أن هدأ قليلاً .. بدأ يلتقط أنفاسه بعد أن زال الخطر الذى أوشك أن يقضى عليه .

عاد الرجل ليواصل طريقه ، وقد أصبح أكثر حذرا .

وبعد مسيرة بضعة أمتار أخرى ، توقف فى مكانه وقد التقطت عيناه مشهدًا لشرك خداعى أسفل قدميه ..

همس لنفسه قائلاً :

– شرك خداعى فى هذا المكان ... لا يمكن أن يكون هذا من فعل الشياطين !

ودار حول الشرك وأخذ يسير وعيناه ترقبان موطئ قدميه .. وقد ازداد سيره بطئًا بعد أن أدرك أن الأفاعى والحيات ليست هى الخطر الوحيد فى هذا المكان .

وما لبث أن استرعى انتباهه جسم صلب آخر فجلس على ركبتيه ليفحصه بدقة ، وسرعان ما تبين أنه مسدس من طراز خاص .. فتناوله قائلاً :

– من المؤكد هذه المرة أنه توجد شياطين من نوع آخر تقطن هذا المكان .. خاصة مع وجود مسدس من ذلك النوع .

ووضعه فى جيبه قائلاً :

— لابد أنه سقط من شخص ما فى أثناء اجتيازه لهذا الطريق .

وعاد الرجل ليفحص الخريطة التى أحضرها معه ، حيث نظر إلى هضبة جبلية على مسافة خمسة أمتار منه ، وما يماثلها على الخريطة قائلاً :

— سيتعين علىّ أن أتسلق هذه الهضبة .

وبالفعل قام بتسلق الهضبة حيث نجح فى الوصول إلى قمتها ، التى كانت زاخرة بالأشجار الكثيفة المتشابكة الأغصان .

وأبعد الرجل أغصان الأشجار التى تعترض طريقه .. ثم زحف أرضًا وهو يتناول منظارًا مكبرًا .. تطلع من خلاله إلى السهل الفسيح الممتد أمامه وعلى مسافة تناهز المائة متر ، لمح أسلاكًا شائكة .. وبعض الأشخاص يقومون بدور الحراسة حول هذه الأسلاك .

ثم قاعدة أسمنتية ضخمة تتوسط ثلاثة أبنية .. وقد انتصب فوقها صاروخ معدنى ، وجهت مقدمته إلى السماء .

وتمعن الرجل فى الصاروخ جيدًا والمنطقة المحيطة به .. ثم وضع المنظار المكبر بجواره على الأرض ،

وتناول كاميرا ذات عدسات مقربة كان قد أحضرها معه .. وجه عدستها نحو موقع الصاروخ .. ليقوم بتصويره .

لم يشعر فى أثناء انشغاله فى التصوير بحفيف أوراق الأشجار من خلفه ، ولا بتلك الأيدى الغريبة التى تكسوها البثور السوداء .. إلا وهى تنقض عليه من الخلف ؛ لتقبض على عنقه كما لو كانت كلابات حديدية .

وسقطت الكاميرا من يده وهو يحاول مقاومة تلك الأيدى التى تقبض على عنقه دون جدوى .

وما لبثت أن ارتفعت إحدى تلك الأيدى ، لتنهال على رأسه بضربة قوية ، فقد على إثرها الوعى .

كان الهندى ما زال جالسًا فى قاربه ينتظر عودة الرجل الذى أحضره ، وقد استبد به القلق والخوف .

وكان يتعجل الدقائق حتى يرحل عن هذا المكان ، الذى يثير فى نفسه كل هذه المخاوف ..

وفجأة برزت من بين مياه المستنقع ، إحدى تلك الأيدى ذات البثور السوداء ، لتنقض على عنقه من الخلف ، تجذبه من فوق قاربه لتغوص به فى الماء .

ولم يجد الهندى المسكين الوقت الكافى حتى للصراخ أو المقاومة .

وما لبثت أن طفت جثته فوق صفحة مياه المستنقع بالقرب من قاربه ..

ومرة أخرى عاد الصمت يهمس أغنيته فى المكان ..

* * *

توقفت سيارة الأجرة أمام أحد المنازل الريفية النمساوية ، حيث تحدث سائقها إلى الراكب فى المقعد الخلفى قائلاً :

ـ هذا هو العنوان .. وهذا هو المنزل .

أطل (ممدوح) برأسه من نافذة السيارة ، إلى المنزل الصغير المحاط بسياج خشبى أبيض اللون .. وحديقة خضراء جميلة بها أنواع مختلفة من الزهور .

ثم نقد السائق أجره وهو يشكره .

وغادر السيارة متجهًا إلى المنزل المكون من طابق واحد ، حيث ضغط على زر الجرس دون أن يجيبه أحد .

راح يطرق الباب دون مجيب .. وما لبث أن سمع صوت أنين فى الداخل فدفع الباب بقوة .. لكنه وجده بغير حاجة لدفع .. فقد كان مفتوحًا من الداخل .

ولدهشته رأى (ممدوح) رجلاً فى الخمسينات من العمر ، ملقى على الأرض والدماء تنزف منه ، وقد

وضح أنه أصيب بعدة طعنات فى مناطق متفرقة من جسده ..

هتف (ممدوح) قائلاً :

ـ دكتور (صادق) !

قال الرجل بصوت واهن :

ـ أنت (ممدوح عبد الوهاب) .. أليس كذلك ؟

أجابه (ممدوح) :

ـ دعك منى الآن .. لقد نزفت كثيرًا ويتعين علىّ أن أنقلك إلى أقرب مستشفى الآن ، لتولى أمرك والعناية بك ..

قال الرجل وقد ازداد صوته وهنًا :

ـ لا فائدة من ذلك .. إننى قريب للغاية من الموت .

ـ أعتقد أننا لو سارعنا ..

قاطعه الرجل وهو يئن قائلاً :

ـ لا تضع الوقت .. المهم الآن أن تحمل الأوراق الخاصة بالاختراع إلى مصر ..

لقد كان خطئى منذ البداية ، أننى لم أقم بالأبحاث والتجارب الخاصة بذلك الاختراع فى مصر .. وفضلت أن أنتهى منها فى هذا المكان ..

لكن الحمد لله .. لم أمكّنهم من الحصول على

شىء .. وقدمت لهم أوراقًا زائفة محاولا إنقاذ نفسى من شرهم .. لكنهم قتلونى بالرغم من كل شىء .

ــ من هم ؟

قال الرجل وقد أخذت الكلمات تخرج من فمه بصعوبة :

ــ لا يهم .. إن كل الأوراق الخاصة بالاختراع الذى توصلت إليه فى تطوير أجهزة الكومبيوتر ، موجودة فى حقيبة رمادية ، أخفيتها فى قاع سرى أسفل مقعد هذه الأريكة التى تراها أمامك ..

ويتعين عليك أن تأخذها للمتخصصين فى مصر باسرع ما يمكنك .. وأن تأخذ حذرك جيدًا ، حتى تنجح فى الوصول بها إلى القاهرة .

لقد وجدت أنه من الصعوبة أن أقوم بذلك بنفسى ، بعد أن شعرت بأننى مطارد على هذا النحو .. لذا فضلت الاتصال بكم و .. و ...

ولم يكمل الرجل حديثه إذ تهاوت رأسه فوق كتفه .. وفاضت روحه إلى بارئها .

قام (ممدوح) بتحريك مقعد الأريكة إلى أعلى ، حيث تناول الحقيبة التى أخبره الرجل بأنها فى قاعها .. ثم غادر المكان بعد أن اتصل بالسفارة المصرية فى



قام (ممدوح) بتحريك مقعد الأريكة إلى أعلى ، حيث تناول الحقيبة التى أخبره الرجل بأنها فى قاعها ..

(فيينا) للقيام باللازم بشأن نقل جثة العالم المصرى إلى القاهرة .

* * *

استقل (ممدوح) القطار المتجه إلى (فيينا) ، حيث استقر داخل إحدى عرباته ، مسترخيًا فوق المقعد الوثير المجاور للنافذة ، وبجواره الحقيبة ..

كان الليل قد أرخى سدوله .. وكانت العربة التى يجلس بها خالية من المسافرين تقريبًا عداه .

وأخذ يفكر فى الهدف من المهمة التى جاء من أجلها إلى هنا .. لقد أبلغه اللواء (مراد) أن أحد العلماء المصريين من المتخصصين فى الكومبيوتر - ويدعى الدكتور (صادق كامل) تمكن من التوصل إلى اكتشاف هام بشأن تطوير التعامل مع أجهزة الكومبيوتر الحديثة .

وأنه بالرغم من أنه استقر فى (النمسا) منذ ثلاثة عشر عامًا ، إلا أنه بحكم وطنيته وحبه لبلده فضل ألا يقدم هذا الاكتشاف لدولة أخرى غير مصر ؛ لكى تستفيد من نتائجه .

لكن يبدو أن بعضهم قد علم بأمر هذا الابتكار الجديد وحاول الحصول عليه ، بعد أن تبين له أهميته ، بالإغراء المادى تارة ، وبالتهديد تارة أخرى .

لكن العالم المصرى أبى أن يفرط فى اختراعه .

ولما أحس بأن هناك خطرًا داهمًا يهدده ، اتصل بالسفارة المصرية ، واتفق معها على البحث عن وسيلة لإنقاذه ، وإنقاذ ابتكاره من التعرض لهذا الخطر الذى يلاحقه .

وعندما اتصلت السفارة المصرية بالمسئولين فى القاهرة ، للتشاور معهم فى الأمر ، قام أحدهم بتكليف إدارة العمليات الخاصة ، بتدبير خطة لإحضار العالم المصرى من (النمسا) ومعه اختراعه ..

وصدرت الأوامر لـ (ممدوح) بتولى هذا الأمر .. فسافر بالفعل إلى (النمسا) للعودة بالرجل واختراعه .

لكن الوقت كان قد فات بالنسبة لإحضار الرجل ، بعد أن تمكن منه مطاردوه ، ولم يبق أمام (ممدوح) سوى العودة بأسرار هذا الاختراع ، التى تحويها الحقيبة التى يحملها معه .

فبينما هو مستغرق فى تفكيره ، إذا بأحد الأشخاص يأتى إلى عربته ، وقد ارتسمت ابتسامة على وجهه ، وقد حمل فى يده حقيبة مشابهة للحقيبة التى يحملها (ممدوح) ..

قال الرجل وهو يجلس فى المقعد المواجه ، وقد وضع سيجارة بين شفتيه :

- هل أجد معك عود ثقاب ؟

قدم له (ممدوح) قداحته فأشعل بها سيجارته .. ثم ردها إليه شاكراً وهو يقول :

- أرجو ألا أكون قد تطفلت على رغبتك فى الانفراد بنفسك ؟

قال له (ممدوح) وهو يتأمله بنظرة فاحصة :

- إن فى القطار متسعًا للجميع .

عاد الرجل ليقول :

- فى الحقيقة لقد بدأت أشعر بالملل لجلوسى بمفردى ، ففكرت فى أن أبحث عن رفيق سفر .. اسمى (هيرست) ..

استقبل (ممدوح) ما قاله ببرود ، يدل على عدم ترحيب ، دون أن يعرفه بنفسه . لكن الرجل بدا وكأنه لا يأبه لذلك واستطرد قائلاً :

- هل تضايقك رائحة التبغ ؟

قال (ممدوح) بنفس النبرة الباردة :

- كن على راحتك .

ثم عاد لينظر عبر النافذة برغم الظلام الدامس بالخارج :

لكنه كان يرقب الرجل بطرف عينيه ، واستطاع أن

يلحظ تطلع عينيه إلى الحقيبة التى كان يضعها بجواره على المقعد .

ونبهته حركته إلى التشابه الملحوظ ، بين حقيبته وحقيبة ذلك المدعو (هيرست) .

وعاد لينظر إلى وجه الرجل ، فرأى تلك الابتسامة الصفراء المرتسمة على شفتيه ، والتى توحى بعدم الثقة .

حاول أن ينهض ويغادر مقعده .. لكنه أحس بتثاقل فى قدميه وعينيه .. دعاه هذا إلى التساؤل عما إذا كان لهذا علاقة بالإرهاق الشديد الذى يعانيه بسبب ذلك السفر المتتالى ؟ او بعدم حصوله هلى قسط وافر من النوم خلال ليلتين متواصلتين ؟.. أم لذلك الدخان الغريب الذى يميل إلى الاخضرار والمنبعث من سيجارة الرجل ؟! لكن إذا كان هذا صحيحًا .. فلماذا لم يؤثر فى الرجل نفسه ؟!

واستطاع (ممدوح) أن يلحظ اتساع فتحتى أنف الرجل الجالس أمامه بأكثر مما يجب .. ومن خلال الغشاوة التى كانت تهاجم عينيه ، رأى شيئًا أشبه بالفلتر مزوَّدًا بثقوب دقيقة للغاية ، محشورًا فى فتحتى أنف الرجل ..

فأدرك أنه يتعرض لتأثير غاز مخدر ينبعث من تلك السيجارة الزائفة .. وكان عليه أن يقاوم تأثير هذا الغاز بكل ما أوتى من عزم وقوة ، قبل أن يفقد وعيه .

أمسك بذراع مقعده وهو يحاول مساعدة نفسه على النهوض ، فقد كان أحوج ما يكون الآن إلى جرعة من الهواء النقى بعيدًا عن ذلك الغاز .

وبدأ جفناه ينطبقان على بعضهما .. لكن شيئًا أخذ يدق فى رأسه كالجرس ، ينبهه إلى أن يقاوم انطباقهما .. وأن يناضل لكى لا يستسلم لتأثير ذلك المخدر الذى أخذ يسرى فى جسده .

امتدت يده الأخرى لتقبض على يد الحقيبة .. وقد أخذ يستجمع كل ما لديه من عزيمة ، حتى استطاع أن يقف على قدميه .

واتجه نحو باب العربة ، وهو يترنح محاولاً الحفاظ على توازنه .. ومحاولاً ألا يجعل الحقيبة تفلت من يده .

وما إن تمكن من مغادرتها حتى اتجه إلى الحمام الذى كان لحسن حظه يجاور عربته ، ودفع برأسه أسفل صنبور المياه ، تاركا الماء ينساب فوق شعره ووجهه ، وقد داوم على ذلك لمدة دقيقة كاملة .

وما لبث أن بدأ يشعر بالانتعاش يدب فى أوصاله وأفكاره .. لكنه كان ما زال بحاجة لجرعة الهواء التى تعوضه عن تأثير الغاز المخدر .

فجفف وجهه سريعًا بمنديله .. ثم غادر الحمام وفتح أقرب نافذة قابلته ، ليخرج رأسه منها ، ليستقبل الهواء النقى الذى خلصه من تأثير الغاز تمامًا ، ومكنه من الوقوف على قدميه بثبات مرة أخرى .

لكن عندما نظر إلى حقيبته كانت المفاجأة فى انتظاره .. فبرغم تشابهها مع الحقيبة التى كان يحملها ، إلا أنها لم تكن هى .. وإنما كانت على الأرجح حقيبة ذلك المدعو (هيرست) .

وتعجب (ممدوح) .. هل نجح فى تبديلها فى ذلك الوقت القصير ؟

لكنه لم يره يبدلها .. بل ظل ساكتًا وهو ينظر إليه ، وعلى وجهه تلك الابتسامة الصفراء .. فكيف حدث هذا ؟

وتذكر (ممدوح) أنه أغمض عينيه مرة أو مرتين ، وهو يقاوم تأثير الغاز على جهازه العصبى .. ولم يستغرق ذلك أكثر من ثانية واحدة فى كل مرة .

فهل كانت هذه الثانية كافية بالنسبة للرجل ، لكى يبدل الحقيبتين على هذا النحو ، وبتلك السرعة ؟

أجاب نفسه قائلا :

ـ نعم .. إنها كافية تمامًا بالنسبة لرجل محترف ومدرب على ذلك . إذن فقد وقع فى الشرك ، وتمكن أحدهم من الاستيلاء على الحقيبة وإفساد مهمته تمامًا .

أحس بالغضب الشديد يسرى فى نفسه من جراء ذلك .

اندفع عائدًا نحو العربة مرة أخرى ، وقد أخرج مسدسه من جيبه ودفع بابها بعنف ..

لكنه لم يكد يفعلها ، حتى فوجئ بما أثار دهشته .

لقد كانت العربة مظلمة تمامًا .. ورأى غريمه قابعًا فى مقعده ، دون أن يبدى أية حركة برغم الضجة التى أثارها ذلك الدخول الغاضب لـ (ممدوح) .

وسرعان ما تبين (ممدوح) أن المصباح الكهربائى قد انتزع من مكانه فى سقف العربة ، كما استرعى انتباهه عدم وجود الحقيبة الأخرى التى كان يحملها معه فى مكنها أو مع الرجل ..

هتف (ممدوح) فى الرجل وهو يصوب إليه مسدسه :

انهض على قدميك واضعًا يديك فوق رأسك !

لكن الرجل ظل قابعًا فى مكانه دون أن يبدى حراكًا .

وامتدت يد (ممدوح) لتقبض على سترة الرجل قائلاً :

ـ ألم تسمعنى ؟ أم أنك أصبت بالصمم ؟

لكنه تبين أن الرجل لم يسمعه ولم يصب بالصمم .

كان الجواب أبسط من هذا .. لقد تحول الرجل إلى جثة هامدة ..

* * *



٢ ـ بلاد العجائب ..

كان الرجل قد لفظ أنفاسه الأخيرة بعد أن خنق .. فقد وضحت آثار الحبل الذى شد حول عنقه فى قوة وعنف ، وإن لم يجد أثرًا لذلك الحبل .

وتعجب (ممدوح) كيف ارتكب القاتل جريمته ثم اختفى فى أقل من عشر دقائق هى كل التى تغيبها خارج العربة ؟!

وإذا كان هذا الشخص قد جاء لسرقة الحقيبة سواء أكان مأجورًا أم لحساب نفسه .. فمن هو الشخص الآخر الذى يهمه الاستيلاء عليها إلى حد ارتكاب جريمة قتل ؟

أهو شريك لذلك الرجل واختلف معه ؟ وأين ومتى ظهر ذلك القاتل ، وقد كانت العربة خالية تمامًا من الركاب عداه هو والقتيل ؟

أكان مندسًا فى مكان ما يتحين اللحظة المناسبة ؟

وأدرك أن المصباح قد انتزع من مكانه لتبقى العربة فى الظلام ، ويتأخر كشف ما حدث قبل وصول القطار إلى المحطة الأخيرة ، والذى تبقى عليه ثلاث دقائق ،

ذلك لأن أحدًا لن يهتم بإيقاظ رجل يبدو وكأنه نائم .

ولكن إذا صح هذا الظن .. فلابد أن القاتل لم يكن يعرف أنه كان رفيقًا للضحية فى تلك العربة .. وإلا عمد إلى التخلص منه أيضًا .. ولابد أنه جاء إليها بعد انصرافه من العربة ، وغالبًا من عربة أخرى ، ولم ير ما حدث من تبديل الحقيبة ..

بل ربما كان يظن أنه الشخص الذى سلمه العالم المصرى الحقيبة ..

ووجد (ممدوح) أنه لا فائدة من كل هذه الافتراضات ، وأنه يتعين عليه أن يسرع بالخروج من هذه العربة على الفور ، قبل أن يأتى أحد مفتشى القطار ويتسبب له فى مشكلة كبرى .

لم يمنعه هذا من أن ينحنى على الجثة ليفتش جيوبها بحثًا عن أثر يمكن أن يدله على شخصية القتيل ، دون جدوى ، فقد اختفت كل أوراقه مع اختفاء الحقيبة ..

وسارع (ممدوح) بإلقاء نظرة سريعة إلى الردهة ثم تسلل خارجًا .

وانتقل إلى عربة أخرى وهو يتعجل وصول القطار إلى محطته الأخيرة .

فقد أيقن أن القاتل مازال بالقطار .. وأنه سينتهز أقرب فرصة للإفلات ..وعقد العزم على أن يبحث عنه مستدلاً عليه بحقيبته التى استولى عليها ..

وتوقف القطار فى محطته الأخيرة بالعاصمة النمساوية.

وسرعان ما لمح رجلاً يحمل حقيبته وهو يسارع بالاندفاع مخترقًا صفوف المسافرين فى طريقه لمغادرة المحطة .

فاندفع (ممدوح) وراءه بدوره مخترقًا زحام المسافرين ، وهو يحاول ألا يجعله يغيب عن عينيه .

لم يحاول الرجل الالتفات وراءه مرة واحدة .. لكن (ممدوح) كان حذرًا فى تتبعه إياه .. فهو لا يعرف بعد ما إذا كان الرجل قد تعرفه فى القطار أم لا .. كما أنه لم يرد له أن يلاحظ أن هناك من يتتبعه .

واستقل الرجل سيارة كانت فى انتظاره أمام الباب الرئيسى لمحطة القطار .

فاستوقف (ممدوح) سيارة أجره وأمر سائقها بتتبع سيارة غريمه ..ولم تلبث سيارته أن توقفت أمام أحد المنازل .. فطلب (ممدوح) من سائق السيارة الأجرة أن يتوقف على مسافة غير بعيدة منه ، ونقده أجره فى الحال .. بعد أن لمح غريمه وهو يجتاز باب المنزل ..

ودخل (ممدوح) فى إثره دون أن يحدث صوتًا ، ووقف فى أول الدرج يرقبه إذ يصعد فى درجاته بخطوات سريعة .. إلى أن استقر أمام إحدى الشقق وقام بفتحها .. فانطلق (ممدوح) فى إثره وهو حريص على ألا يسمع وقع قدميه فوق درجات السلم .

وبرغم المخاطرة فقد استخدم (ممدوح) إحدى أدواته فى فتح باب الشقة بحذر ، وقد شهر مسدسه فى يده .. تأهبًا لأية مواجهة ..

كانت هناك ردهة كبيرة تخطاها (ممدوح) .. ثم لمح فى نهايتها باب إحدى الغرف مواربًا .

ورأى الرجل الذى كان يتتبعه ، وقد تمدد فوق فراش وثير ، وفى يده سماعه الهاتف ، بينما الحقيبة إلى جواره على الفراش .

وسمع صوت الرجل وهو يتحدث إلى الطرف الآخر على سماعة الهاتف قائلاً :

— نعم يا (موراى) .. أقول لك إننى أحضرت الحقيبة .. وهى الآن معى .. وبها كل الأوراق التى تهمك .

ماذا تقول ؟ آتى لك بها ؟ لكن يتعين علينا أن نتفق على الثمن أولاً .

ثم أردف قائلا بعد برهة من الصمت ، استمع خلالها إلى محدثه :

ـ لا يا عزيزى الثمن الذى حددته لى من قبل لم يعد يلائمنى .. إننى أريد الضعف ..

هدئ من نفسك .. إنك لا تعرف مقدار المخاطرة التى خضتها لكى أحضر لك هذه الحقيبة .

أتدرى من الذى كانت بحوزته ؟.. إنه (هيرست) .. نعم أقول لك (هيرست) .. لقد تعرفته .. وكل الأوراق الخاصة به والتى تثبت شخصيته معى لتؤكد لك ذلك ، وهذا يعنى أن منظمة (كونكر) الإجرامية كانت تسعى هى أيضًا وراء تلك الأوراق فـ (هيرست) أحد أعضائها .

هل تدرك الآن حجم المخاطرة التى عرضت نفسى لها ؟

لا شأن لى بالطريقة التى وصلت بها هذه الحقيبة إلى يد (هيرست) .

المهم أننى نفذت إتفاقى معكم .. لقد تخلصت من (هيرست) وأحضرت لك الحقيبة بكل محتوياتها .. وإذا لم تكن مستعدًا لدفع المبلغ الذى حددته لك .. فسوف يسعدنى أن أتفاوض بشأنها ، مع رجال منظمة

(كونكر) .. ولا أعتقد أن زعيمهم سيهتم كثيرًا بقتلى لأحد رجاله فلابد أنه يستطيع أن يستأجر الكثيرين بدلا منه .

لكنه سيبدى اهتمامًا حقيقيًا بتلك الحقيبة التى سلبته إياها وسيدفع لى الثمن الذى أريده .

إننى لن أتجادل معك أكثر من هذا .. إذا أردت أن تحصل على الحقيبة بما تحويه من أوراق ، فيمكنك أن تتصل بى خلال نصف ساعة من الآن .. وتخبرنى بأنك قد وافقت على الثمن الذى حددته لك .. ثم نتفق على الطريقة التى سنتقابل بها للتسليم والتسلم .

كلا .. لا داعى للتهديد يا (موراى) فإنك لن تربح شيئًا بذلك .. ولن تفلح فى إخافتى .. وداعًا .

ووضع سماعة الهاتف واعتدل فوق حافة الفراش واضعًا الحقيبة فوق فخذيه ، وقد أمسك بها من جانبيها .. وقال :

ـ إننى لا أدرى ما الذى سيعود على هؤلاء الحمقى ، من وراء تلك الأوراق التى تحويها الحقيبة .. ولكنى أعرف أنه يمكننى الاستفادة منها جيدًا لصالحى .

لكن نظرة منه نحو باب الغرفة ، بدلت من نظرة الظفر فى عينيه ، وحولتها إلى دهشة بالغة .

كان (ممدوح) يستند إلى إطار الباب ، عاقدًا

ذراعيه أمام صدره ، وقد برز المسدس فى إحدى يديه ، وكان يقول بهدوء :

ـ لا تكن واثقًا إلى هذا الحد يا عزيزى .

سأله الرجل وقد ازدادت دهشته :

من أنت ؟

أجابه (ممدوح) بسخرية :

ـ أنا صاحب هذه الحقيبة التى تضعها فوق ركبتيك .. والشاهد الوحيد على قيامك بقتل ذلك الرجل فى القطار خنقًا .

قال له وقد تحولت دهشته إلى نبرة خشنة ، بدت واضحة فى صوته .

ـ ما هذه الخرافات التى ترددها ؟ وكيف تمكنت من الدخول إلى هنا ؟

أجابه (ممدوح) دون أن تؤثر فيه خشونة الرجل :

ـ إن لى وسائلى الخاصة فى التسلل إلى منازل القتلة .. كما أن لك وسائلك فى التسلل إلى عربات القطار الخاصة بضحاياك .

قال له الرجل وقد ازداد صوته خشونة :

ـ إننى أنصحك بمغادرة المكان فورًا .. وإلا ..

قاطعه (ممدوح) :

ـ أنا الذى أنصحك بأن تدع هذه الحقيبة على الأرض ، وتبتعد عنها عدة خطوات إلى الوراء ، واضعًا يديك فوق رأسك .. وإلا ألهبت هذا الرأس بالرصاص .

نظر إليه الرجل برهة مترددًا .. لكنه لم يتردد طويلاً .. وفضل الإذعان عندما رأى أصبع (ممدوح) تتحرك على الزناد .

قال (ممدوح) :

ـ هذا حسن ..

وتقدم نحو الحقيبة وهو يصوب مسدسه نحو الرجل قائلاً :

ـ والآن بخصوص الخلاف الدائر بينك وبين صديقك .. فإنه لا يعنينى فى شىء .. ويمكنكما أن تسوياه معًا ، ثم انحنى ليلتقط الحقيبة من على الأرض وهو يردف قائلاً :

ـ إن كل ما يهمنى هو استرداد حقيبتى .. إلا إذا كنت تبحث عن المتاعب ..

وفى اللحظه التى انحنى فيها (ممدوح) لالتقاط الحقيبة ، انقض عليه الرجل محاولاً مهاجمته بسكين ، كان يخفيه أسفل كم السترة التى يرتديها .

لكن (ممدوح) تفادى هجوم غريمه ، وهو يميل بجذعه إلى الوراء بعد أن أمسك بمقبض الحقيبة .

ثم ضربه بالحقيبة بقوة على مؤخرة رأسه فى أثناء اندفاعه لمهاجمته ..وأكمل ذلك بضربة أخرى أشد قوة بمقبض مسدسه ، أصابت فك غريمه وطرحته فوق الفراش .

وأكمل ممدوح حديثه وهو ينظر لضحيته قائلاً :

ـ فيم كنا نتحدث ؟.. آه . كنا نتحدث عن المتاعب .. وهأنتذا قد رأيت العقوبة التى أنزلها بمن يثيرونها .

وأتبع ذلك بلكمة فولاذية إلى فك غريمه ، جعلته يفقد الوعى .

ثم غادر المنزل بعد أن سوى من ثيابه ، وأغلق بابه خلفه .

ومالبث أن نادى سيارة أجرة لتنقله إلى المطار .. متخذاً طريقه إلى القاهرة .

* * *

تناول (ممدوح) سماعة الهاتف فوق مكتبه ليتصل بمكتب اللواء (مراد) فرد عليه سكرتيره .. سأله قائلاً :

ـ سيادة اللواء موجود ؟

ـ من المتحدث ؟

ـ أنا المقدم (ممدوح) .

أجابه السكرتير :

ـ إنه لم يحضر بعد يا سيادة المقدم .. هل هناك ما تريدنا أن نبلغه به ؟

ـ كلا .. سأتحدث إليه فيما بعد .

وفى تلك اللحظة دخل اللواء (مراد) حجرة (ممدوح) وهو يبتسم قائلاً :

ـ ما الذى تريد أن تحدثنى بشأنه يا سيادة المقدم ؟

نهض (ممدوح) سريعًا من فوق مقعده قائلاً باحترام :

ـ سيادة اللواء .. لقد أخبرنى مدير مكتب سيادتك أنك خارج الإدارة .

ـ لقد حضرت لفورى من وزارة الداخلية .. إن الوزير يثنى عليك بسبب نجاحك فى إحضار الأوراق الخاصة بالدكتور (صادق) .. وقد تقررت لك مكافأة كبيرة .

ـ إننى لم أفعل سوى الواجب يا فندم .

وضع اللواء (مراد) يده فوق كتف (ممدوح) قائلاً :

ــ مهما كان تواضعك .. فإن أحدًا لا يستطيع أن ينكر أنك قد قدمت لوطنك خدمات جليلة يا (ممدوح) .

بدا (ممدوح) محرجًا من هذا الإطراء ، في حين أردف اللواء (مراد) قائلاً :

ــ ولكن فيم كنت تريد محادثتي ؟

ــ لقد أردت مناقشة أحد التقارير مع سيادتك .

ــ دعك من التقارير الآن .. وقل لي : أما زالت شهيتك مفتوحة للمزيد من المهام ؟

ــ إنني طوع أمرك يا فندم .

ــ ما رأيك في الذهاب إلى أمريكا اللاتينية ؟ وبالذات إلى السلفادور ؟

ابتسم (ممدوح) قائلاً :

ــ تلك الدولة التي خاضت حربًا ، من أجل خسارة فريقها في إحدى مباريات كرة القدم ؟!

ضحك اللواء (مراد) قائلاً :

ــ ليست هذه هي آخر الأعاجيب التي يمكنك أن تجدها فيهذه البلاد . لكن مسألة كرة القدم .. وتلك الحرب التي خاضتها ضد دولة مجاورة ، أصبحت مسألة قديمة .. وعفا عليها الزمن ..

إن سبعين في المائة من سكان هذه الدولة ينتمون

إلى قبائل هندية قديمة ، ولهم معتقدات وتقاليد متوارثة ، تدور في معظمها حول الأساطير والخرافات .. لكن هذا جانب واحد من وجهي العملة .. فهناك أيضًا مدينة حديثة بجوار الأحراش المخيفة ..

وهناك حكومة عسكرية .. وعلماء متخصصون في صناعة الصواريخ .. وبعضها متقدم للغاية وتدور حوله اختبارات هامة ، بمشاركة علماء آخرين يهمنا أمرهم .

ــ أتعني سيادتك الإسترتانيين ؟

ــ نعم .. لكنك لم تجب على سؤالي بعد .. هل أنت مستعد للذهاب إلى هذه الدولة التي تكتنفها الكثير من المخاطر ، ويحيط بأرضها الغموض ؟

قال (ممدوح) بلهجة واثقة :

ــ بالتأكيد يا فندم .. إنني لن أرفض القيام بأي مهمة تكلفني بها إلى أي مكان في العالم .

ــ حسن .. إذن تعال لتصحبني حيث نتحدث في غرفتي .. بهذا الشأن ..

وكانت هذه هي البداية ..

* * *

٣ ـ الأرض المحرمة ..

استقر اللواء (مراد) أمام مكتبه ، وأشار إلى أحد المقاعد لكى يجلس عليه (ممدوح) ، متابعًا حديثه الذى كان قد بدأه :

ـ لقد توصلنا إلى معلومات ، تفيد وجود تعاون بين العلماء العسكريين فى كل من السلفادور و (أسترتان) ، لابتكار صاروخ من نوع جديد ، متوسط المدى ، ويتميز بقوة تدميرية عالية ، وقدرة فائقة على إصابة الهدف ..

وبرغم أنه كان من المقرر منذ البداية ، إجراء التجارب الخاصة باختراع هذا الصاروخ فى إحدى القواعد العسكرية الاسترتانية ، إلا أنه حرصًا على السرية وإخفاء لحقيقة الأمر .. فقد تم الاتفاق على إجراء هذه التجارب فى مكان غير مأهول ، وفى جو من التكتم والسرية الشديدة بالسلفادور .

وحينما تابع عملاء المخابرات المصرية تحرياتهم بهذا الشأن ، توصلوا إلى معلومات تؤكد أن المكان الذى وقع الاختيار عليه ، هو منطقة تحيطها الأحراش

والمستنقعات .. وبقايا من آثار الحضارة الهندية القديمة التى كانت قائمة فى هذا المكان منذ قرون بعيدة .. ويطلق عليها السكان هناك (الأرض الملعونة) ..

ويبدو أن لهذه التسمية علاقة ببعض معتقداتهم القديمة ، وما يرددونه حول أشباح الهنود القدامى ، التى تقطن هذا المكان .

كما يبدو أن العلماء العسكريين فى كل من السلفادور واسترتان ، قد أستغلوا الشائعات المحيطة بهذا المكان ، التى حولته إلى منطقة محرمة يخشى الناس الذهاب إليها .. باعتبار أن هذه المخاوف ستوفر لهم السرية التى يحتاجونها لإجراء تجاربهم ..

فأنشئوا قاعدة تجارب ومختبرات علمية ، ونقلوا علماءهم إلى هناك ، لإجراء ما يحتاجون إليه من اختبارات وتجارب بحرية ، من أجل إعداد هذا الصاروخ المدمر .

تلك كانت هى المعلومات التى توافرت لدينا .

ولما كان وجود مثل هذا السلاح الخطر فى أيدى الاسترتانيين ، يمثل خطرًا كبيرًا على أمننا القومى ، باعتبار أنهم أعداؤنا التقليديون .. لذا كان يتعين علينا

أن نتأكد من حقيقة هذه المعلومات ...

وتم الاتفاق بيننا وبين المخابرات العامة المصرية ، على التعاون بهذا الشأن ، فأرسلت أحد رجالنا ، وهو المقدم (عادل) إلى السلفادور ، لكى يؤكد حقيقة ما توصلت إليه تحريات المخابرات ، وتحديد موقع التجارب التى تجرى على إطلاق الصاروخ بدقة ..

وسافر (عادل) إلى السلفادور منذ شهر تقريبًا ، كان اتصاله بنا خلاله قائمًا ومستمرًا من خلال ضابط اتصال ، يعمل لحساب المخابرات المصرية فى سفارتنا هناك بالسلفادور ..

وكان قد قطع شوطًا طويلاً فى سبيل الوصول إلى تلك المنطقة ذات التضاريس الصعبة ، والاقتراب من تلك الأرض الملعونة كما يسمونها ..

لكن فجأة انقطع اتصاله بنا .. ولم يعثر له على أثر منذ أسبوعين تقريبًا .

وكانت آخر رسالة تلقيناها منه ، أنه قد تمكن من إقناع أحد الهنود بنقله إلى المنطقة التى عيناها له ..

وبعد أن أجرينا التحريات اللازمة بشأن ذلك الهندى ، الذى قبل المخاطرة ، وأسهم فى نقل (عادل) بوساطة قاربه إلى تلك الأرض ، التى تقع خلف المستنقعات ..

تبين لنا أن الهندى قد اختفى بدوره ، ولم يعثروا إلا على قاربه طافيًا فوق سطح مياه المستنقع .

وهذا يعنى أن المقدم (عادل) والهندى قد تعرضا لخطر ما .. وأن اختفاءهما يلفه الغموض ..

قال (ممدوح) :

ـ ربما اكتشف أمرهما بوساطة السلفادوريين أو الأسترتانيين ؟.

ـ هذا احتمال قائم .. خاصة ولابد أنهم لم يعتمدوا على الخرافات المحيطة بالمكان فقط ، لتأمين سرية أبحاثهم وتجاربهم .. بل لابد أنهم أضافوا وسائل أخرى لحراسة المكان ، ومنع الآخرين من الاقتراب منه .

ـ هذا على افتراض أن هذه المنطقة ، تحوى بالفعل قاعدة لإجراء التجارب على هذا الصاروخ .. وأن المعلومات التى توصلت إليها المخابرات صحيحة .

ـ وهذا هو الهدف من مهمتك .. نريد التأكد من حقيقة وجود هذه القاعدة فى المكان المحدد على الخريطة .. وأية معلومات يمكن التوصل إليها بشأن هذا الصاروخ .. ومعرفة مصير المقدم (عادل) ..

ويجب أن تضع فى اعتبارك أنه ربما يكون قد تعرض لأخطار أخرى ، غير وقوعه فى أيدى العسكريين

السلفادوريين أو الأسترتانيين .. فالمنطقة كما قلت لك محفوفة بالمخاطر ..

* * *

وصل (ممدوح) إلى السلفادور حيث توجه على الفور إلى قرية (سكولا) ، القريبة من الأحراش والمستنقعات ، التى تقع خلفها أرض (الهوروس) الهندية أو كما يسمونها الأرض الملعونة ..

واستوقف (ممدوح) أحد الصبية قائلاً :

ـ أيمكنك أن ترشدنى إلى فندق أو أى مكان يصلح للإقامة هنا ؟

نظر إليه الصبى ببرود .. ثم أشار إلى مبنى قديم فى نهاية الطريق ، دون أن يعلق بكلمة واحدة .. وتركه وانصرف .

اتجه (ممدوح) إلى ذلك المبنى الذى كان مكونًا من ثلاثة طوابق ، وقد وضعت على واجهة لافتة تشير بالأسبانية إلى أنه فندق ..

بدا المبنى فى حالة سيئة .. وأن صاحبه لا يولى أى اهتمام لتجديده ، أو إضفاء أى مظهر من مظاهر الرقى والتمدين عليه .. وربما كان ذلك لقلة المترددين عليه .

وتوجه نحو شخص بدين ، يجلس خلف المكتب

الخاص باستقبال النزلاء .. وقد بدا الرجل متكاسلا .. كما بدت لحيته وكأنها لم تحلق منذ بضعة أيام ..

سأله (ممدوح) قائلا :

ـ أيمكننى أن أحصل على غرفة هنا ؟

نشط الرجل لدى سماعه ذلك .. فنهض سريعًا من فوق مقعده وهو يضع سجل النزلاء أمامه قائلا :

ـ بالطبع يا سنيور ، إن لدىّ هنا غرفة ممتازة ، تطل على ساحة القرية سأقدمها لك .. الاسم من فضلك .

ـ (كارلوس روميرو) .. أسبانى .. وأعمل فى التنقيب عن الآثار ..

نظر إليه الرجل بعد أن دون البيانات وقال :

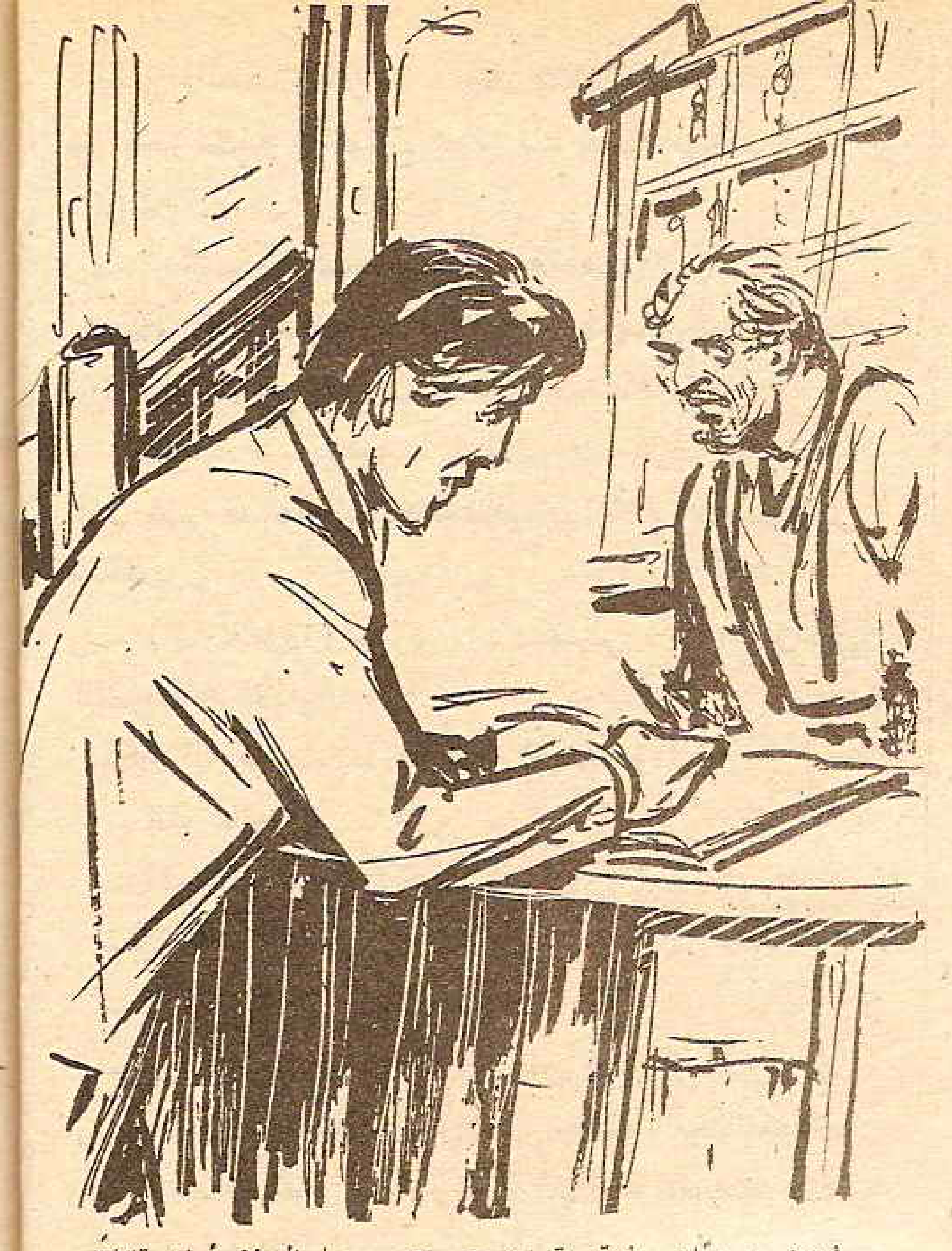
ـ إنك عالم آثار .. إذن .

ـ نعم .

سأله الرجل بفضول :

ـ وما الذى أتى بك إلى قريتنا ؟

ـ فى الحقيقة أنا لم آت هنا من أجل قريتكم .. بل من أجل تلك الأرض التى تقع خلف المستنقعات ، وأقصد بها منطقة (هوروس) الهندية القديمة ، فقد جئت لدراسة الآثار الموجودة هناك ..



فنهض سريعًا من فوق مقعده وهو يضع سجل النزلاء أمامه قائلاً :

ــ بالطبع يا سنيور ..

تبدلت سحنة الرجل وقال :

ــ الأرض الملعونة !..

ــ أهكذا تسمونها ؟ ولكن ما الذى يجعلكم تطلقون عليها هذه الصفة البشعة ؟

قال الرجل بصوت هامس ، وكأنه يخشى أن يسمعه أحد :

ــ لأن اللعنة تصيب كل من يذهب إلى هناك .. إنه لا يعود منها أبدًا ، وإذا قدر له أن يعود .. فإنه يعود جثة هامدة ..

ابتسم (ممدوح) قائلاً بسخرية :

ــ هذا أمر مشجع للغاية !

عاد الرجل ليهمس فى أذنه قائلاً :

ــ أنصحك ألا تذهب إلى هناك يا سنيور .. فالموت يترصد كل من يذهب إلى تلك الأرض ..

ــ لو اعتمدت على الإنصات للخرافات فى أمور عملى ، لتوقفت عن العمل تمامًا ..

قال الرجل مؤكدًا :

ــ لكن ما أقوله لك لا يعد من الخرافات .. بل هو حقيقة مؤكدة .. إن المسئولين فى هذه البلاد ، لا يذهبون إلى هناك أبدًا ..

ـ أمـا أنـا فقد عقدت العزم علـى أن أذهب إليهـا ، وأقوم بالأبحاث التى طلبت منى ..

قال له الرجل :

ـ لقد نصحتك .. وعلى كل حال لن تجد من يرضى بمصاحبتك إلى هناك ..

ـ إذا اقتضى الأمـر أن أذهب بمفـردى .. فسـوف أفعل .. والآن هل تعطينى مفتاح الغرفة لو سمحت ؟

وقدم له الرجل مفتاح الغرفة وهو يشير إلـى أحد الأشخاص لإرشاده إليها ، وقد ارتسمت ملامح القلق على وجهه ..

وما كاد (ممدوح) يلقى بجسده فوق الفراش داخل حجرته .. حتى أغلقت عيناه وبدأ يستسلم للنعاس .

لكنـه سرعان مـاهب مـن فراشـه معتـدلاً علـى إثـر طرقات قوية على باب الحجرة .

وسمع صوتًا آمرًا يدعوه إلـى فتـح البـاب .. فنهض من فراشه وهـو يفرك جفنيـه اللذين كـانت آثـار النـوم مازالت عالقة بهما ..

فوجئ بصـاحب الفنـدق ، ومعـه عـدد مـن رجـال الشرطة الذين اقتحموا عليه الغرفة .

وسأله رئيسهم قائلاً :

ـ هل تسمح لى بالاطلاع على جواز سفرك ؟

ـ لماذا ؟ وما الداعى لكل هذا ؟

قال الضابط :

ـ دعنى أر جواز سفرك أولا ..

وقدم له (ممدوح) جواز السفر الأسبانى المزيف ، الذى قيد به اسم (كارلوس روميرو) وقد شك فى أنهم ربما يشكون فى سلامته .. وأن صـاحب الفنـدق قـد ارتاب بشأنه ، فأبلغ الشرطة المحلية بالأمر ..

لكن الضابط الشرطـة أعـاد الجـواز إلى (ممدوح) قائلاً :

ـ إنك عالم آثار .. أليس كذلك ؟

ـ بلى ...

ـ لقد عرفت أنك تنوى الذهاب إلى أرض(الهوروس) للتنقيب عن الآثار هناك ..

ـ نعم .

ـ هل معك تصريح حكومى ، بالتنقيب عن الآثار فى تلك المنطقة ؟

ـ كلا .. إننى لا أنوى القيام بأعمال حفر وتنقيب ، بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة .. وإنما أنوى القيام بدراسة ميدانية أولاً ، والاطلاع على ذلك الموقع الأثرى هناك .

ـ أيًا كان الأمر ، فالذهاب إلى هناك يقتضى الحصول على تصريح حكومى .

ـ إن المناطق الأثرية كتلك المنطقة .. يرتادها السائحون دون الحصول على إذن حكومى .. إذن يمكنك أن تعتبرنى كسائح يرتاد المكان .. وعلى حسب علمى ، فإن المنطقة ليست محظورة حتى تمنعنى من الذهاب إليها ..

ـ لقد أصبحت الآن منطقة محظورة .. ويمنع الذهاب إليها دون إذن حكومى بذلك .

ـ وما هو السبب وراء ذلك ؟.

ـ هذا ليس من شأنك .. ونحن ننفذ الأوامر ..

ـ حسن .. إذن سأبقى بضعة أيام هنا ؛ لأستمتع برحلة سياحية فى قريتكم ، وربما أتمكن خلالها من الحصول على ذلك التصريح الحكومى الذى تتحدث عنه ..

ـ لو حاولت الذهاب إلى (الهوروس) ، فسوف نقوم بالقبض عليك وإيداعك السجن .

ابتسم (ممدوح) قائلاً :

ـ إنكم تحسنون استقبال ضيوفكم .

ضابط الشرطة :

ـ إننا ننفذ الأوامر .. ولقد أردت أن أحذرك فقط من مغبة أى تصرف غير مسئول .

ـ سآخذ تحذيرك فى الاعتبار .

وانصرف رجال الشرطة بينما هز صاحب الفندق كتفيه قائلاً لـ (ممدوح) :

ـ آسف يا سنيور .. لكن كان يتعين علىَّ أن أخطرهم بالأمر .. فقد تلقيت تعليمات بهذا الشأن .

ـ إننى أقدر دوافعك .. ولكن قل لى ، من أين تلقيت هذه التعليمات ؟

ـ من رئيس الشرطة المحلية ..

وأغلق (ممدوح) الباب ، وهو يعود ليتمدد فى فراشه .. وقد أخذ يفكر فى السر وراء كل هذا التشدد المفاجئ ، بشأن الذهاب إلى هذا المكان .. أيرجع هذا إلى وجود قاعدة فى المنطقة لإجراء التجارب السرية ، حول ذلك الصاروخ ؟ ولكن لماذا لم يأت هذا الخطر من قبل ؟.. فحسب علمه لم تكن هناك عقبات كبيرة أمام المقدم (عادل) ، لكى يذهب إلى تلك المنطقة ..ربما كانوا يعتمدون على مخاوف الأهالى ، والخرافات المحيطة بتلك المنطقة ، كرادع قوى يحول دون المخاطرة بالذهاب إلى هناك .. وفى ذات الوقت لم يحاولوا فرض هذا الحظر ، حتى لا يلفتوا الأنظار إلى وجود شىء غير طبيعى يحدث فى المكان ..

ولكن بعد ذهاب المقدم (عادل) .. فإنهم رأوا أن الحظر أصبح واجبًا حتى لايصبح المجال مفتوحًا لذهاب أى شخص آخر إلى هناك .

ونهض (ممدوح) من فوق فراشه ليتمشى فى حجرته ويغمغم :

— إنه افتراض يحتمل الصواب والخطأ .. وهناك افتراض آخر .. إنه أهل القرية هنا ، لا يرحبون بذهاب أحد من الأشخاص إلى تلك الأرض المجاورة لهم .. حتى لا يؤدى ذلك إلى إصابتهم بلعناتها .. وأن رجال الشرطة المحلية هنا يشاركونهم هذا الاعتقاد ، مما دعاهم إلى فرض هذا الحظر بأنفسهم .

إنه عل كل حال لن يخضع لهذا الحظر .. فمهمته تقتضى أن يذهب إلى ذلك المكان ، مهما كانت الأسرار التى تغلفه .

ولكنه سيتحرى الأمر بشأن هذا الحظر المفاجئ .

ارتدى (ممدوح) ثيابه ، وغادر غرفته ، ليهبط إلى الكافيتريا الصغيرة الموجودة فى ردهة الفندق .. والتى كانت تضم بعض الأشخاص الذين جلسوا يحتسون الشراب .

وكان أول ما استرعى انتباهه ، أنهم ينظرون إليه نظرات غير مرحبة ..

توجه (ممدح) إلى صاحب الفندق قائلا :

— هل يمكننى استخدام الهاتف ؟

قال الرجل :

— إنه هناك فى نهاية الكافتيريا .

شكره (ممدوح) وتقدم بين الموئد متجها إلى الهاتف ، حيث تناول سماعته ، وطلب أحد الأرقام قائلا لمحدثه :

— نعم .. أنا (كارلوس) .. أريد أن تتحرى لى الأمر ، حول قرار بحظر الذهاب إلى منطقة (الهوروس) الأثرية .. وسأنتظر منك ردًا على الهاتف رقم .....

وقبل أن يحدد (ممدوح) رقم الهاتف ، فوجئ بأحد الأشخاص يضع يده على زر التليفون ، ليمنع الاتصال ، وهو يقول له بلهجة وقحة :

— لقد انتهت المكالمة .

* * *



٤ ـ لقاء عدائى ..

نظر (ممدوح) إلى الرجل الضخم الجثة الواقف أمامه ، وقد ارتسمت على وجهه ملامح القسوة والشراسة .. وقال بصوت هادئ النبرات :

ـ لقد كان هذا تصرفًا غير لائق منك .

قال له الرجل وهو ينظر إليه فى تحد :

ـ إنك لن تعلمنى ما هو اللائق وماهو غير اللائق يا ذا الوجه الوسيم .

سأله (ممدوح) قائلاً :

ـ أتبغى الشجار معى ؟

أجابه الرجل فى خشونة :

ـ لا أظن أنك ندّ لى .

سأله (ممدوح) مرة أخرى :

ـ وما الذى تقترحه إذن ؟

أجابه الرجل :

ـ أن تغادر هذا الفندق ، وتذهب إلى مكان آخر غير هذا المكان .

ـ أيضايقك وجودى إلى هذا الحد ؟

قال له الرجل وهو مستمر فى لهجته الخشنة :

ـ إننا لا نرحب كثيرًا بالغرباء فى قريتنا .

ابتسم (ممدوح) فى استخفاف :

ـ ولماذا تقيمون الفنادق إذن ؟

أجابه الرجل :

ـ يمكنك أن تقول إننا ننتقى الزملاء الذين نسمح لهم بالإقامة هنا .

ـ وأنا لا ألقى قبولاً منك .

ـ نعم :

نظر (ممدوح) إلى الوجوه التى تتطلع إليه فى وجوم ، وكأنها تنتظر نتيجة هذا الجدال .

بينما تظاهر صاحب الفندق بتنظيف إحدى الموائد ، متجاهلاً الموقف .

قال (ممدوح) وهو يرقب الآخرين :

ـ وهل هذا هو رأى الآخرين أيضًا ؟

أجابه قائلاً :

ـ إننى أتحدث نيابة عنهم .

ـ وأنا أنوى البقاء فى هذا الفندق ، مع اعتذارى الشديد لكم .

دفعه الرجل فى صدره دفعة قوية إلى الوراء قائلاً :

– إذن فسوف أضطر إلى أن ألقى بك إلى الخارج بنفسى .

ثم أمسك بسترة (ممدوح) وهو يدفعه مرة أخرى إلى الوراء .

لكنه قبض على معصمى خصمه بقوة ، موجها له ضربة قوية برأسه ، وقبل أن يفيق الرجل من تأثير الضربة ، عاجله بتسديد لكمة قوية إلى معدته انحنى لها غريمه .. ثم أتبعها بلكمة أخرى فى فكه ، جعلته يترنح وهو يتراجع إلى الوراء .

وما كاد يعتدل فى وقفته حتى اندفع لمهاجمة (ممدوح) مرة أخرى .. لكن الأخير انقض على ذراعه بحركة سريعة ، ليطيح به أرضًا .

وقبل أن ينهض على ركبتيه ، عاجله (ممدوح) بركلة قوية ، جعلت رأسه يصطدم بأرجل إحدى الموائد ، فتهاوت فوقه بما تحمله ، وفى هذه المرة لم يبد الرجل حراكا .. بل ظل ممددًا على الأرض ، والمائدة فوق وجهه دون أن يحرك ساكنا .

التفت (ممدوح) إلى الآخرين ، وعلى وجهه علامات التحفز قائلا :

– هل يبدى أحد منكم اعتراضا آخر على وجودى هنا ؟

نكس الرجال رءوسهم برغم أنهم كانوا يتميزون غيظا .. لكن أحدًا منهم لم يجد فى نفسه القدرة ولا الجرأة للتصدى لذلك الشاب ، الذى قهر أضخمهم جثة ، وأكثرهم شراسة .

جلس (ممدوح) إلى إحدى الموائد ، ليتناول مشروبه وهو يتساءل عن سر هذه الكراهية التى يبديها الأهالى نحوه .

لقد كان يظن أن الأمر قاصر على رجال الشرطة والسلطة ، لحماية التجارب السرية التى يقوم بها الاسترتانيون والسلفادوريون ..

لكن ما سر كراهية الأهالى الشديدة له على هذا النحو ؟ هل علموا بأمر ذهابه إلى أرض (الهوروس) ، واعتبروا ذلك تعديًا منه على مقدساتهم القديمة ؟ أم أنهم يظنون ذهابه إلى هناك ، سيجلب لهم اللعنات والمتاعب ؟ أم أن هناك تعاونًا بين رجال الشرطة والأهالى ، للتحرش به وإبعاده عن القرية بأسرها ؟

وبينما هو مستغرق فى تفكيره ، نظر إلى النافذة الزجاجية المجاورة لمائدته ، فإذا به يلمح وجها لامرأة تبدو فى الخمسينات من عمرها .

كانت المرأة تحدق فيه بشدة ، وقد أخفت شعرها

بإيشارب أسود اللون ، وما لبث أن رآها تشير له ، لكى يخرج لملاقاتها .

تعجب (ممدوح) من الأمر فى البداية .. لكنه لم يلبث أن قرر الاستجابة لإشارتها . فغادر مائدته متجهًا إلى خارج الكافتيريا .

وبحث عنها فلم يجدها فى مكانها بجوار النافذة .. بل وجد مكانها أحد رجال الشرطة الذى سأله :

ـ هل تبحث عن شىء ؟

ـ كانت توجد هنا سيدة عجوز ..

قاطعه الشرطى قائلاً :

ـ لا توجد هنا أية عجائز .. ومن الأفضل لك ألا تبتعد عن هنا كثيرًا ، لأننى سأكون فى إثرك أينما ذهبت .

قال (ممدوح) ساخرًا :

ـ يسعدنى أن أصبح شخصية هامة فى قريتكم إلى هذا الحد .

قال الشرطى :

ـ إننا نعمل على حمايتك ..

ـ حمايتى ؟!

ـ نعم .. فتفكيرك فى الذهاب إلى أرض (الهوروس)

سيؤدى إلى أن تحل بك اللعنة ، وهذا سيعرضك لخطر شديد .

حسن .. من الأفضل إذن أن أعود إلى الفندق .

واستدار (ممدوح)، عائدًا ليفتح باب الفندق .. ولكنه لمح السيدة العجوز وهى تختفى وراء جدار أحد الأبنية القديمة القريبة من الفندق .. وقد أخذت تشير له مرة أخرى ليحضر إليها .

قال (ممدوح) للشرطى :

ـ ما رأيك لو جئت لتتناول شرابًا على حسابى ؟

وبدا تأثير هذه الدعوة مغريًا على وجه الشرطى ، الذى حاول أن يعترض اعتراضًا واهنًا .. لكن (ممدوح) أقنعه قائلاً :

ـ لا أعتقد أن شرابًا واحدًا سيؤثر فى أدائك للواجب المكلف به .. هيا هيا يا صديقى .. إننى سأقدم لك أى مشروب تطلبه .. ولن يعطلك هذه عن عملك كثيرًا .

سأله الشرطى :

ـ أيمكننى أن أتناول بعض الطعام أيضًا ؟

ـ يمكنك بالطبع .. فاليوم ستكون ضيفى .. لأننى أراك شابًا لطيفًا ، وتؤدى عملاً لا يتناسب مع مواهبك .

استجاب الشرطى لدعوة (ممدوح) وقد أثر فيه

الإطراء والإغراء .. على نحو لم يمكنه من التفكير .. اصطحبه (ممدوح) إلى مائدته ونادى صاحب الفندق قائلا :

– أحضر لصديقى كل ما يطلبه من طعام وشراب .

سأله الشرطى وهو ينظر بشراهة إلى الأطعمة الموضوعة أمامه.. وزجاجة النبيذ الفاخر :

– وأنت ؟

– سأكتفى بهذا المشروب .

وراقب (ممدوح) انكباب الشرطى على الطعام والشراب كما لو كان لم يتناول طعامًا أو شرابًا طوال حياته .

ثم قال له وهو منهمك فى طعامه :

– اسمح لى .. سأذهب إلى دورة المياه ..

أشار له الشرطى قائلاً :

– تفضل .. تفضل .

واتجه (ممدوح) نحو دورة المياه .. لكنه بدلاً من أن يفتح بابها اتجه إلى الباب الخارجى وعيناه ترقبان الشرطى .

اندفع نحو السيدة العجوز ، التى كانت لا تزال فى انتظاره بجوار جدار المبنى .

سألها (ممدوح) قائلا :

– أتريدين شيئا يا سيدتى ؟

سألته العجوز بدورها قائلة :

– هل ستذهب إلى تلك الأرض الملعونة ؟

– إننى أحاول ذلك .. لكنى أعتقد أن الجميع هنا لا يرحبون بذهابى إلى هناك .

قالت السيدة وهى تتلفت حولها :

– إن الشياطين تسكن هذه الأرض .

– إننى لا أومن بهذه الخرافات .

قالت السيدة بأسى :

– وكذلك ابنى (ألفريدو) كان شابًا وسيمًا ومثقفًا ويشبهك كثيرًا .. ولم يكن يؤمن بما يقولون عن هذه الأرض .. بل قرر أن يثبت أن ما يقال بشأن أرض (الهوروس) خرافات كما تقول ، فذهب إلى هناك بنفسه منذ شهر ونصف تقريبًا .

– وماذا حدث ؟

انسابت العبرات على وجنتها وهى تقول :

– لم يعُد من هناك ..

– ألم يحاول أحد البحث عنه ؟ ألم تخبرى الشرطة بشأن اختفائه ؟

ـ فعلت كل ذلك .. بل أخطرت كبار المسئولين بالأمر ، ووعدونى بالبحث عنه .. لكن أحدًا لم يفعل شيئًا .. ولم يعد ابنى من تلك الأرض الملعونة .. ولا أدرى ما إذا كان حيًّا أم ميتًا .. وما الذى أصابه بعد أن وطأت قدماه تلك الأرض .

ربت (ممدوح) على كتفها مواسيًا وقال :

ـ أنا آسف من أجلك .

نظرت إليه العجوز بتوسل قائلة :

ـ أرجوك يا بنى .. لو كنت ما زلت مصرًّا على الذهاب إلى هناك .. حاول أن تبحث عن ابنى (ألفريدو) .

وبرغم أن الأمل سيكون ضعيفًا فى عودتك ، لو أصررت على الذهاب إلى هناك ، إلا أننى أريد منك أن تبذل كل جهدك فى إعادة ابنى ، لو أمكنك ذلك .. ولو كان لا يزال على قيد الحياة .

ـ أعدك بذلك ..

وفى تلك اللحظة ، توقفت سيارة شرطة بجوارهما ، حيث هبط منها أحد الجنود يتبعه رئيس الشرطة المحلية ، والذى نظر إلى العجوز فى غضب قائلاً :

ـ ماذا تفعلين هنا ؟



نظرت إليه العجوز بتوسل قائلة :

ـ أرجوك يا بنى .. لو كنت ما زلت مصرًا على الذهاب إلى هناك .

ارتبكت المرأة وقالت له متلعثمة :

ــ لقد .. لقد أردت أن أحذر هذا الشاب من الذهاب إلى (الهورروس) ..

قال لها وهو يرمقها بعينين متوعدتين :

ــ حسن .. هيا انصرفى من هنا .

وأطاعته المرأة فى الحال ، وقد ارتسمت على وجهها ملامح الخوف .

مدّ له رئيس الشرطة يده مصافحًا قائلا :

ــ أعرفك بنفسى (أميجو) رئيس شرطة القرية .

صافحه (ممدوح) برغم استيائه من الطريقة التى تحدث بها إلى المرأة قائلاً :

ــ (كارلوس روميرو) ..

ابتسم رئيس الشرطة فى ود مصطنع قائلاً :

ــ آه .. لقد عرفت باسمك .. وأنا آسف على الطريقة التى عاملك بها رجالى فى الفندق .. ما رأيك لو تناولنا القهوة معًا فى مكتبى ؟

ــ لا مانع لدى من ذلك .

قال رئيس الشرطة :

ــ حسن اركب معى فى سيارتى لنذهب معًا .. إن المسافة قصيرة من هنا ..

سأله رئيس الشرطة وهو جالس معه فى السيارة :

ــ ماذا قالت لك هذه المرأة المخرفة ؟

ــ لا أعتقد أنها مخرفة كما تدعوها .. لقد كانت تحادثنى عن ابنها الذى اختفى فى ظروف غامضة فى (الهورروس) .. وتتمنى لو عرفت أية معلومات عنه ..

ــ إنها ليست سوى مجرد تهيؤات .. فابنها غادر (السلفادور) وذهب إلى (كندا) ليستقر هناك .. ولكن عقلها يصور لها أنه قد لحق به الأذى ، وأنه ذهب إلى أرض (الهورروس) ولم يعد .

أحس (ممدوح) بأن الرجل يكذب .. لكنه تظاهر بتصديقه قائلاً :

ــ لعل هذا يكون صحيحًا ؟

صحبه رئيس الشرطة إلى مكتبه ، حيث قدم له القهوة قائلا :

ــ والآن يا سنيور (كارلوس) .. هل يمكنك أن تخبرنى عن السبب الحقيقى وراء رغبتك فى الذهاب إلى أرض (الهورروس) الملعونة ، برغم كل ما سمعته عنها من مخاطر ؟

ابتسم (ممدوح) قائلاً :

ــ هل تصدق أنت أيضًا تلك الأشياء التى يروونها عن المكان ؟

- بغض النظر عما إذا كنت أصدق ذلك أم لا ، فإنك لم تجب عن سؤالى بعد .

- أعتقد أننى لست بحاجة إلى إجابة .. فلابد أنك قد عرفت أننى أعمل فى الآثار .. وتلك المنطقة غنيَّة بالآثار الهندية القديمة ..

- هل هذا هو كل ما يدعوك إلى الرغبة فى الذهاب إلى هناك ؟

- وهل ترى سببًا آخر لذلك ؟

- أنت تعرف الإجراءات الأمنية المطلوبة .. فالبعض قد يُدعى أحيانًا شخصية غير شخصيته الحقيقية .. فيحاول أن ينتحل شخصية عالم آثار مثلاً .

رمقه (ممدوح) بنظرة فاحصة قائلاً :

- ماذا تعنى بذلك ؟

تحول إليه رئيس الشرطة ، وفى عينيه نظرة اتهام قائلاً :

- لقد أرسلنا بشأنك إلى المخابرات السلفادورية ، وهم أيضًا أجروا بعض التحريات بشأنك ، حيث تبين أنه لا يوجد عالم آثار أسبانى يدعى (كارلوس روميرو) .

قال له (ممدوح) بثبات :

- لم أكن أظن أننى سأحظى بكل هذا القدر من الأهمية ، بحيث تتحرى عنى مخابرات السلفادور ، وتبذل كل هذا القدر من المشقة للكشف عن حقيقة هويتى ..

- اسمح لى أن أسألك ، من أنت أيها الرجل ؟ وما الذى جئت لتفعله هنا ؟

نظر إليه (ممدوح) بثقة قائلاً :

- اسمح لى أنت أن أسألك .. كيف تمكنت من الاتصال بالمخابرات السلفادورية لتخبرها بشأنى ؟ ثم ليتحرى رجال المخابرات عنى عن طريق السفارة الأسبانية .. ثم ترسل السفارة الأسبانية إلى وزارة الخارجية هناك ، لتقوم وزارة الخارجية بالاتصال بوزارة الآثار الأسبانية ، لتحديد ما إذا كان يوجد لديهم فى الملفات أحد المتخصصين فى الآثار يدعى (كارلوس روميرو) .. ثم يتصلون بكم لإخطاركم بالحقيقة .. كل ذلك خلال ليلة واحدة قضيتها هنا !!

صاح رئيس الشرطة قائلاً :

- أتظن أننى أكذب عليك ؟

- بالتأكيد .. لأن كل تلك الاستفسارات التى تحدثت عنها ، تحتاج إلى أسبوع على الأقل لكى يتم تقديم

إجابة عنها .. لا إلى ليلة واحدة .. وهذا يعنى أن ما قلته لى الآن لم يكن حقيقيًا .. وإنما ظننت أنك تستطيع بذلك الإيقاعى بى .. فما لديك ليس سوى شكوك تبحث لها عن دليل ، وربما كان الأمر يتعدى ذلك .. وأن ما تفعله أنت ورجالك ليس سوى محاولة منك لمضايقتى ، وإبعادى عن هذا المكان بأية وسيلة .

عاد رئيس الشرطة إلى مقعده وقال :

ـ حسن مادمنا نتحدث عن الشك ، إذن فسوف أضعك فى السجن هنا اعتمادًا على الشبهات ، وحتى تصلنا الإجابات المطلوبة بشأنك .

وارتسمت ابتسامة شيطانية على شفتيه .

* * *



٥ ـ الرجل الغامض ..

قال (ممدوح) فى تحدّ :

ـ إن لى صديقًا صحفيًا يتابع أخبارى هنا .. فإذا علم بأننى قد أودعت السجن دون اتهام محدد ، فتأكد أنك ستكون على صفحات الصحف .. وسيكون مستقبلك بأسره مهددًا هنا ..

ضرب رئيس الشرطة بيده فى قوة على مكتبه ، وهو يهب واقفًا ويقول :

ـ هل تهددنى أيها الرجل ؟

ـ بل أحاول حماية نفسى أيها الضابط ..

قال رئيس الشرطة بعصبية :

ـ حسن غادر هذا المكان فورًا .. وإياك أن تفكر فى الذهاب إلى أرض (الهوروس) .. وإلا جلبت لنفسك المتاعب ، وقدمت لى المبرر الذى أحتاج إليه لأضعك فى السجن .

وفتح (ممدوح) باب الحجرة قائلاً :

ـ إننى أرحب بمغادرة هذا المكان .

لكن رئيس الشرطة استوقفه قائلاً :

ـ سيكون من الأفضل لك لو غادرت القرية بأسرها .. لأننى سأتبعك كظلك هنا .. وعندما تأتى لى المعلومات التى طلبتها بشأنك ، فلن أتردد لحظة واحدة فى إلقائك فى السجن ، لو كنت شخصًا آخر غير الشخصية التى تنتحلها .

وفى تلك اللحظة حضر شخص تبدو عليه سمات المهابة والكبرياء .

فقد كان يتميز بقامة فارعة وجسد صلب ممشوق برغم أن الغضون التى تملأ وجهه تكشف عن أنه فى الستين من العمر تقريبًا .

ألقى الرجل نظرة على (ممدوح) ثم على رئيس الشرطة الذى هرع إليه مرحبًا وهو يقول :

ـ سنيور (شيكو) .. مرحبًا بك .. تفضل .

قال له الرجل بصوت هادئ النبرات ، وإن كان يحمل شيئًا من التعالى والكبرياء :

ـ هل جئت فى وقت غير مناسب ؟

قال رئيس الشرطة وهو يصافحه فى حرارة :

ـ أنت على الرحب والسعة دائمًا يا سنيور (شيكو) .

وهم (ممدوح) بإغلاق الباب من ورائه .. لكن الرجل استوقفه قائلاً :

ـ ألا تعرفنى بصديقك ؟

أجابه رئيس الشرطة قائلاً :

ـ إنه يدعى (كارلوس روميرو) .

ابتسم (شيكو) ابتسامة متعالية تتناسب مع نبرات صوته قائلاً :

ـ آه !.. عالم الآثار الأسبانى .

قال (ممدوح) :

ـ يبدو أننى قد نلت شهرة واسعة هنا ..

اتسعت ابتسامة (شيكو) وهو يمد له يده مصافحًا قائلاً :

ـ إن الأخبار تنتقل سريعًا فى قرية صغيرة كقريتنا .. وخاصة بالنسبة للغرباء .

ـ إن هذه القرية لا ترحب مطلقًا بالغرباء .

ـ يؤسفنى أن تظن ذلك .. إنهم فقط لا يرتاحون للعمل الذى جئت من أجله هنا .

نظر (ممدوح) إلى رئيس الشرطة قائلاً :

ـ لقد كدت أن أودع السجن منذ لحظات ، بسبب عدم الارتياح هذا .

قال له (شيكو) مستنكرًا :

— سجن ؟.. لا أظن أن الأمور ستصل إلى هذا الحد وعلى كل حال أعتذر لك نيابة عن القرية بأسرها وأدعوك إلى تشريفى بالزيارة فى أى وقت يناسبك ..

إن قصرى يقع فى نهاية حدود القرية ، والكل هنا يعرفه ، ويستطيع إرشادك إلى هناك ..

— أشكرك على كل حال .. فهذا هو أول لقاء ودى ألقاه هنا .. وأعدك بتلبية دعوتك قريبًا .

ثم انصرف تتبعه نظرات (شيكو) ، الذى تحول إلى رئيس الشرطة قائلاً :

— ألن تكف عن معاملة الأشخاص بهذه الغلظة يا (أميجو) ؟

قال له رئيس الشرطة وهو يدعوه إلى الجلوس :

— بعض الأشخاص يجب معاملتهم على هذا النحو يا سيدى .

* * *

استلقى (ممدوح) فى فراشه .. وهو يفكر فى وسيلة تمكنه من الذهاب إلى تلك الأرض التى يخشى الجميع ذهابه إليها .

لكنه أحس بحركة غريبة تأتى من ناحية النافذة فنهض من فوق فراشه متبرمًا يقول لنفسه :

— يبدو أننى لن أستطيع أن أحظى ببضع ساعات من النوم فى هذا المكان .

وأسند ظهره إلى الجدار المجاور للنافذة ، معتمدًا على ظلمة المكان .

وما لبث أن لمح يدًا تمتد بالقرب من حافة النافذة ، يعقبها ظهور رأس لشخص يسعى إلى التسلل إلى الغرفة .

وعلى الفور امتدت يد (ممدوح) لتقبض على عنق ذلك الشخص وعلى ساعده باليد الأخرى ، ليجذبه إلى داخل الغرفة بقوة مطيحًا به إلى الأرض ، ثم هم بتسديد ركلة قوية إلى وجه المتسلل .. لكنه توسل إليه قائلاً :

— كلا !.. أرجوك لا تضربنى ، فقد جئت إلى هنا لمساعدتك !

أضاء (ممدوح) نور الغرفة .. ليرى شابًا يافعًا لم يتجاوز العشرين من عمره فسأله :

— من أنت ؟ ولماذا تسللت إلى غرفتى بهذه الطريقة المريبة ؟

أجابه الشاب قائلاً :

— إننى أدعى (بابلو) .. وقد جئت بهذه الطريقة حتى لا يلحظنى رجال الشرطة الذين يترصدون خطواتك بأسفل .. إننى صديق ..

جلس (ممدوح) على حافة الفراش قائلاً :

ـ إنها وسيلة غريبة للتعبير عن الصداقة .. ولكن قل لى ما هى المساعدة التى يمكن أن تقدمها لى ؟

همس له الشاب وكأنه يخشى أن يسمعه أحد :

ـ أستطيع إرشادك .. بل مصاحبتك إلى الأرض الملعونة .

نظر إليه (ممدوح) بدهشة قائلاً :

ولماذا تفعل ذلك برغم كل الأقاويل التى يرددونها حول المكان ؟

أجابه الشاب قائلاً :

ـ لأننى ابن السيدة التى تحدثت معك اليوم .. وشقيق (ألفريدو) ..

حك (ممدوح) أظفاره فى رأسه ، فى حين استطرد الشاب قائلاً :

ـ إننى أسعى إلى العثور على أخى .. ومستعد للتعرض لكل أنواع المخاطر فى سبيل ذلك .

سأله (ممدوح) قائلاً :

ـ هل تعرف أمك بذلك ؟

ـ كلا .. لو علمت بذلك لمنعتنى من الحضور إليك .. فلقد رفضت ذهابى إلى أرض (الهوروس) من

قبل ، لكى أبحث عن أخى بنفسى ، بعد أن رفض الآخرون مساعدتنا ..

إنها تخاف أن أذهب دون عودة ، كما حدث مع أخى (ألفريدو) .

ـ إذن يتعين عليك أن تمتثل لرغبة أمك .. ولا تجعلها تقلق عليك .

ـ إن أمى تكاد أن تموت حزنًا منذ اختفاء أخى .. وأنا مصمم على العثور عليه ..

ـ هل أنت واثق بأن أخاك قد ذهب إلى هذا المكان حقًا ، ولم يغادر السلفادور ؟

ـ هذا هو ما يردده رئيس الشرطة هنا ، يحاول الإيعاز به .. لكننى أعرف جيدًا أن أخى لم يسافر .. وأنه ذهب إلى ذلك المكان حيث اختفى هناك .

ـ وما الذى يجعلك واثقًا هكذا ؟

ـ لأننى أوصلته بنفسى إلى هناك .. وكنت أرغب فى مشاركته مغامرته حتى النهاية .. لكنه منعنى من ذلك ، وطلب منى أن أعود إلى القرية ، وأحاول تهدئة مخاوف أمى بسبب إصراره على الذهاب ..

ـ إنك شجاع يا (بابلو) ولكننى لا أريد أن أعرضك لهذه المخاطرة .

ــ إننى مستعد لأن أفعل أى شىء فى سبيل البحث عن أخى .. أرجوك يا سنيور .. أرجوك ، دعنى أصحبك فى رحلتك هذه .. وإلا ذهبت إلى هناك بمفردى .

ــ سأفكر فى الأمر .

ــ أرجو ألا تطيل التفكير .. فقد عقدت العزم على الذهاب إلى أرض (الهوروس) خلال اليومين القادمين .. بك أو بدونك .

ــ دعنا نلتق إذن مساء الغد .. وأعتقد أنك تعرف الطريقة التى يمكنك بها ملاقاتى .. مادمت تحسن التسلل عن طريق النوافذ ..

ــ سآتى إليك فى نفس الموعد .

وهب الشاب واقفًا ، استعدادًا لمغادرة المكان عن طريق النافذة .. وساعده (ممدوح) ، على ذلك قائلاً :

ــ كن حذرًا .

ابتسم (بابلو) قائلاً :

ــ اطمئن .. لقد كنت أعمل فى سيرك من قبل .. وأجيد الألعاب البهلوانية .

* * *

وفى الصباح توجه (ممدوح) إلى قصر (شيكو) ، بعد أن أوصله أحد السائقين إلى هناك ..

وتأمل (ممدوح) القصر من الخارج ، فوجده يتناقض تمامًا مع مظاهر التخلف المنتشرة فى القرية .

فقد كان يتميز بمظاهر العظمة والثراء .. وقد أحاطت به حديقة واسعة تزخر بأنواع مختلفة من الزهور والنباتات النادرة .

واستقبله أحد الخدم بانحناء وهو يدعوه إلى الدخول لقاعة الاستقبال قائلاً :

ــ سأخطر سنيور (شيكو) بحضورك .

واستمر (ممدوح) فى تأمل ما حوله من مظاهر البذخ ، وقد استرعت انتباهه التحف واللوحات على الجدران ، التى لا تقل إبهارًا عن الأثاث العصرى الوثير فى القاعة .

كما استرعى نظره وجود بعض الأوانى الفخارية الأثرية وقطع من الأسلحة التى تنتمى إلى العصور الهندية القديمة .

وبينما هو مستغرق فى تأمله ، فتح باب القاعة ليدخل منه (شيكو) بقامته الفارعة وجسده الممشوق ، ومد له يده مصافحًا :

ـ مرحبًا بك فى قصرى يا سنيور (كارلوس) .

التفت إليه (ممدوح) ليصافحه قائلا :

ـ لقد جئت حسب وعدى لك يا سنيور (شيكو) ..

دعاه (شيكو) للجلوس قائلاً :

ـ يسرنى أنك لبيت دعوتى .. وأنا أحترم الرجال الذين يوفون بوعودعهم .

هل أعجبك قصرى ؟

ـ إن كل ما هنا يدعو إلى الإعجاب ..

ـ أشكرك .

ـ لابد أنك تتميز بثراء بالغ يا سنيور (شيكو) ، لكى يكون لك مثل هذا القصر .

قال (شيكو) بزهو !

ـ لقد ورثته عن أجدادى .. ربما أكون قد أضفت إليه بعض اللمسات العصرية .. لكن هذا القصر قائم هنا منذ مائة عام مضت .

ـ إنه قصر أثرى إذن .

ابتسم (شيكو) قائلا :

ـ لابد أن هذا قد استرعى انتباهك باعتبارك عالم آثار .

ـ لقد استرعت انتباهى حقًا تلك الآثار الهندية

القديمة التى وجدتها فى القاعة ، والمعلقة على الجدران .. لابد أنك من سلالة هندية يا سنيور (شيكو) .

قال (شيكو) وهو يدعوه إلى شرب المرطبات التى جلبها الخادم :

ـ ألم تخمن ذلك ؟

ـ بلى .. فاسم (شيكو) هو اسم هندى فى الأصل أليس كذلك ؟

قال (شيكو) بافتخار :

ـ بلى إننى أنتمى إلى سلالة هندية قديمة ، كانت تقطن هذه البلاد وتتميز بحضارة متقدمة وثراء بالغ ، بالمقارنة بغيرها من القبائل الهندية ..

ـ هل يفسر هذا الثراء الذى انتقل إليك !

ـ لقد ورثت ثروة من أجدادى بلا شك .. لكنها لم تكن كبيرة كما تتصور .. لكنى تمكنت من تنميتها بالإسهام فى عدة مشاريع حتى أن نطاق أعمالى امتد إلى الولايات المتحدة ، وبعض دول أمريكا اللاتينية الأخرى .

إن ثروتى قد تضاعفت عشرات المرات عن المبلغ الذى ورثته ، وأصبحت الآن من رجال الأعمال المعروفين .

ـ ومع ذلك .. فأنت تقيم فى هذه القرية الصغيرة .. ولا تحاول الإقامة فى العاصمة مثلاً ، حيث تستطيع أن تنعم بثروتك بصورة أفضل ، وتمارس أعمالك بشكل أوسع .

ـ إننى أنعم بثروتى على النحو الذى يرضينى هنا .. كما أننى أسافر إلى أية جهة فى أى وقت أختاره ، لأمارس نشاطى وأعمالى بوساطة طائرتى الخاصة .. وإن كنت أستطيع أن أدير جميع أعمالى من هذا القصر ، الذى زودته بكل الوسائل العصرية الحديثة ، التى تسهل لى ممارسة نشاطى العملى .

أما عن سر تمسكى بالإقامة هنا .. فهذا يرجع إلى أننى شديد الاعتزاز بجذورى الهندية القديمة .. وأفضل الإقامة فى قصر أجدادى على أى مكان آخر فى العالم .

ـ يسعدنى أن أجد شخصًا يتمسك بجذوره القديمة على هذا النحو .. ولكن قل لى يا سنيور (شيكو) ما رأيك فيما يقولون عن تلك الأرض الهندية القديمة .. والمصير الذى ينتظر من يذهب إليها ؟

ـ إن أرض (الهوروس) تصيب من ينتهك حرمتها باللعنات بالفعل ..

ـ لم أكن أنتظر منك أنت بالذات أن تقول ذلك ، بعد كل ما سمعته منك كرجل أعمال ناضج .

حدجه (شيكو) بنظرات حادة قائلا :

ـ ولكننى هندى كما قلت لك .. كما أن القبيلة التى أنتمى إليها هى نفسها من سلالة (الهوروس) ..

* * *



٦ — المهمة السرية ..

عاد (شيكو) يهمس فى أذن (ممدوح) :

— أنصحك بألا تذهب إلى هذا المكان ..

ابتسم (ممدوح) قائلاً :

— إن الكل ينصحنى بذلك .. ولكن قل لى : بما أنك تنتمى إلى (الهوروس) ، ألم تفكر يومًا ما فى الذهاب إلى هذه الأرض ؟

تراجع (شيكو) فى مقعده وهو يضع ساقًا فوق ساق قائلاً :

— لقد ذهبت إلى هناك بالطبع ..

نظر إليه (ممدوح) بدهشة وقال :

— ومع ذلك فلم تلحقك لعناتها .

قال (شيكو) بخيلاء :

— إننى هندى من (الهوروس) .. واللعنات لا تلحق بالأحفاد .. بل بالغرباء فقط .

ضحك (ممدوح) قائلاً :

— تقصد أن الأجداد يرعون الأحفاد ويصبون لعناتهم على من سواهم .

— إنك تسخر من ذلك كما أرى .. ولكن لو كنت قد درست تاريخ (الهوروس) وتقاليدهم القديمة ، لأيقنت أن هذه هى الحقيقة .

نهض (ممدوح) قائلاً :

— لقد درست التاريخ بحكم مهنتى .. لكننى لا أومن بالأساطير .

نهض (شيكو) بدوره ليصافحه مودعًا وقال :

— مرة أخرى أنصحك بألا تخاطر بالذهاب إلى هذا المكان .. ويمكنك الذهاب إلى مواقع أثرية أخرى ، لم تصبها تلك اللعنة التى نذرها (الهوروس) لمن يتطاولون على انتهاك حرماتهم .

— سأتذكر هذه النصيحة عندما أعود إلى الفندق .. وربما عملت بها . والآن ، هل تسمح لى بالانصراف ؟.. وأشكرك لدعوتك .

صافحه (شيكو) قائلاً :

— يمكنك أن تأتى فى أى وقت تشاء .

وانصرف (ممدوح) عائدًا وهو يفكر فيما قاله له شيكو ، وعما يكمن وراء هذا الرجل الغامض الواسع الثراء ، الذى يجله ويحترمه الجميع هنا .

هل هو يؤمن حقًا بتلك الأساطير الخرافية حول

لعنات أرض (الهوروس) ؟ أم أنه يحاول أن يمنعه من الذهاب إلى هناك لأسباب أخرى ؟

وما هو دور الاسترتانيين فى كل ذلك ؟

وكيف تسنى إقامة قاعدة للتجارب السرية حول ذلك الصاروخ المدمر ، فى تلك المنطقة التى تحيطها الخرافات .. دون أن يلفت ذلك انتباه الأهالى هنا ، ويثير احتجاجهم على وجود من يعملون فى إعداد الصاروخ ، برغم مخاوفهم من ذهاب الغرباء إلى هناك ؟

أم أنه تم عمل خطة لنقل العاملين فى هذا المشروع ، والمعدات والقائمين على الحراسة بوسائل سرية ، دون علم الأهالى بذلك ، مستغلين فى ذلك مخاوفهم من الاقتراب من هذه الأرض ؟

ولكن كيف يمكن نقل معدات ضخمة لكى تستخدم فى هذا الشأن وكل أولئك الأشخاص ، دون علم الأهالى هنا ؟

هل استخدمت الطائرات فى ذلك ؟ أم استخدمت طرق أخرى غير تقليدية ؟

وتساءل (ممدوح) :

ـ ترى ما الذى توصل إليه المقدم (عادل) قبل

اختفائه ، بشأن ما يدور فى هذا المكان ؟

وهل لاختفائه ، واختفاء ابن تلك المرأة العجوز علاقة بالتعاون القائم بين الاسترتانيين والسلفادوريين ، بشأن إنتاج هذا الصاروخ !

وألقى (ممدوح) نظرة سريعة خلفه ، ليرقب ذلك الرجل الذى كان يتتبعه ، والذى وضح أنه كان من رجال الشرطة السريين ، ممن يقتفون أثره .

ثم عاد ليقول لنفسه :

ـ على كل حال ، لقد قررت أن أستكشف الأمر بنفسى هذه الليلة ..

وفتح (ممدوح) النافذة فى غرفته ، ثم جذب أحد المقاعد ليجلس بجوار النافذة قائلاً :

ـ حسن .. أنا فى انتظارك يا صديقى الصغير .. فقد وافقت أن تكون مرشدى إلى أرض (الهوروس) هذه الليلة ..

* * *

وطال انتظار (ممدوح) دون أن يأتيه الزائر المتوقع .. مما أثار قلقه .

وفجأة سمع صوتًا غير واضح المعالم أسفل نافذته .. فأطل منها ليرى شخصين يقبضان على الشاب ،

ويشلان حركته ، وهو يحاول جاهدًا مقاومتهما .. لكنهما أعجزاه عن الحركة ، وقد قال له أحدهما وهو يجذبه من شعره :

ـ ستخبرنا الآن عما جئت تفعله هنا .. وإلا دققت عنقك !

وتناول (ممدوح) حقيبته ليلقى بها من النافذة إلى الأرض على مقربة من الرجلين اللذين فوجئا بسقوطها أمامهما .

لكن المفاجأة التالية كانت أشد تأثيرًا .. إذ انقض (ممدوح) على أحدهما بعد أن وثب من فوق حافة نافذته ليطيح به أرضًا .

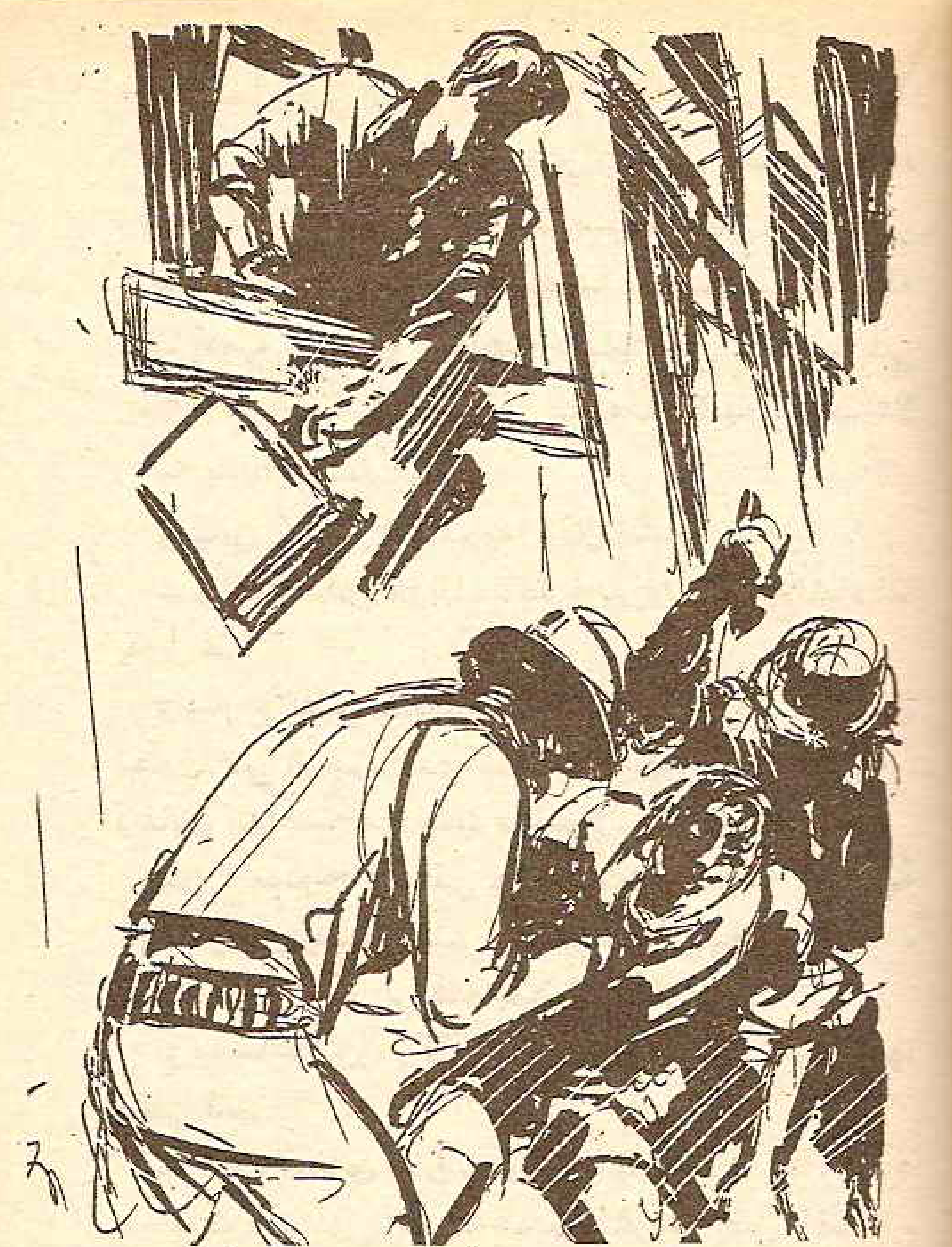
ولم يكن بحاجة إلى أكثر من لكمة واحدة قوية ليفقد الرجل وعيه ، بعد أن أفقده ارتطامه بالأرض على إثر تلك الوثبة توازنه .

بينما اضطر الشخص الآخر إلى التخلى عن الإمساك بالشاب واستل خنجره استعدادًا لمهاجمة (ممدوح) ، بعد أن زال أثر المفاجأة .

وصاح الشاب قائلا لـ (ممدوح) :

ـ سنيور (كارلوس) احترس !

لم يكن (ممدوح) بحاجة إلى تحذير .. فقد كان



وتناول (ممدوح) حقيبته ليلقى بها من النافذة إلى الأرض على مقربة من الرجلين اللذين فوجئا بسقوطها أمامهما ..

منتبهًا لما ينوى الرجل الآخر أن يفعله .

وكان ما زال جاثمًا فوق صدر الآخر ، بعد أن أفقده وعيه بلكمته القوية ، فانقلب سريعًا على ظهره فى اللحظة التى هاجمه فيها خصمه بخنجره ، واستقبله بكلتا قدميه فى أثناء اندفاعه لمهاجمته ، ليثبتهما فى بطنه ، ثم يحمله عاليًا ليلقى به خلف ظهره ، جاعلاً رأسه يصطدم بالأرض .

ونهض (ممدوح) سريعًا وقال للشاب :

ـ راقب المكان حولنا .. فلا أريد أن ألفت الانتباه لما يدور هنا .

وسارع الفتى بتنفيذ تعليمات (ممدوح) .. الذى تحول إلى الرجل الذى كان قد نهض من سقطته ، وحاول مهاجمته من جديد بخنجره .

لكن (ممدوح) انحنى جانبًا ليتفادى الطعنة الموجهة إليه ، وهو يقبض على معصم الرجل بإحدى يديه ، مسددًا لكمة قوية إلى فكه بقبضته الأخرى ..

لوى ساعده وراء ظهره ، فى اللحظة التى صاح فيها الفتى قائلاً :

ـ هناك شخص يقترب من هذا المكان !

أمسك (ممدوح) بياقة سترة غريمه من الخلف ، ويده ما زالت قابضة على معصمه بعد أن لوى ذراعه .

ثم دفع برأسه فى قوة إلى الجدار مرتين فتهاوى الرجل فاقدًا وعيه ، وقد سقط الخنجر من يده ..

صاح الشاب قائلاً :

ـ أسرع يا سنيور . فهو فى طريقه إلى هنا .

تناول (ممدوح) حقيبته سريعًا من الأرض ، بعد أن سحب الرجل الفاقد الوعى ليرقده بجوار غريمه خلف الأشجار المحيطة بجدار الفندق ..

ثم قال للشاب وهو يمسك بساعده :

ـ هيا بنا من هنا .

قال الفتى سريعًا :

ـ كلا .! ليس من هذا الاتجاه .. فرجال الشرطة يرقبونه .. إننى أعرف طريقًا خلفيًا يمكننا أن نتسلل منه .

ـ حسن .. على كل حال .. لقد أصبحت مرشدى من الآن .

وفى تلك اللحظة كان الشخص الذى أشار الفتى باقترابه قد جاء إلى المكان فابتسم (ممدوح) محييًا وهو يستحث الشاب على الإسراع .

وقاده الفتى إلى فجوة صغيرة فى السور الخلفى المحيط بالفندق ، كان يخفيها بوضع بعض الأحجار

المتلاصقة الى تم نزعها من الجدار بعناية .

ثم اصطحبه إلى سيارة من طراز قديم ، كانت على مقربة من السور قائلاً :

ـ هذه هى وسيلتنا للذهاب إلى المستنقعات .

وقاد الشاب السيارة ، فى حين تلفت (ممدوح) خلفه ليرى ما إذا كان هناك أحد يتبعهما أم لا .

وحين اطمأن إلى أن أحدًا لم يكتشف مغادرته للفندق بعد ، اعتدل فى جلسته قائلاً :

ـ كيف تمكن هذان الرجلان من اكتشاف أمرك ؟

أجابه (بابلو) :

ـ لقد كانا يرقبان منزلنا منذ أن حادثتك أمى .. ويبدو أنهما تتبعانى إلى هنا .

وصمت(بابلو) برهة من الوقت قبل أن يردف قائلاً :

ـ إننى سعيد لموافقتك على أن أصحبك إلى أرض (الهوروس) .

ـ يجب أن تعرف أنك قد وضعت نفسك فى مأزق حرج للغاية بذهابك معى إلى هناك .. فحتى لو تمكنا من العودة من ذلك المكان سالمين ، فلابد أنك ستواجه بعداء شديد من الأهالى هنا الذين يحرمون ذهاب

الغرباء إلى تلك الأرض ، فضلا عن استفسارات رجال الشرطة .

ـ لا يعنينى من الأمر سوى العثور على أخى (ألفريدو) ..

ـ هذا ما أريد منك أيضًا أن تعرفه .. فقد لا ننجح فى العثور على أخيك .

ـ إذن .. سأكون قد قمت بالواجب المفروض على فى هذا الشأن .

وأوقف (بابلو) السيارة بمحاذاة شاطئ المستنقع الذى تحفه الأشجار والأعشاب البرية ، قائلاً لـ (ممدوح) :

ـ سنستخدم أحد القوارب فى عبور المستنقع إلى الجهة الأخرى .

ـ وأين نجد هذا القارب ؟

ـ لقد نجحت فى إخفاء قارب صغير بين الأشجار هنا ..

ثم هبط من السيارة هو و (ممدوح) حيث تعاونا على إخراج القارب البدائى من بين الأشجار ، ليدفعا به إلى مياه المستنقع .

وما لبثا أن استقلاه .. حيث أخذ (بابلو) بجدف فى

نفس الاتجاه الذى ذهب إليه الهندى من قبل .

وبعد فترة من الوقت ، أوقف (بابلو) القارب بالقرب من حافة شاطئ المستنقع فى الجهة الأخرى قائلاً لـ (ممدوح) :

ـ حذار من الأفاعى والثعابين فهى تكثر فى هذا المكان ..

وبدآ يتحركان بحذر فوق الأرض الطينية المجاورة للمستنقع ، ويخترقان الأحراش الكثيفة المجاورة ..

وأزاح (بابلو) بعض أغصان الأشجار التى تعترض طريقه ، وهو يتقدم (ممدوح) .. لكنه ما لبث أن تراجع إلى الوراء مذعورًا .. وصاح :

ـ يا للشيطان !!

تقدم (ممدوح) لينظر إلى ما أفزع الفتى على هذا النحو ، فأذهله ما رآه .

كان هناك عدد من الجماجم البشرية معلقة فى أفرع الأشجار التى تعترض طريقهم على نحو يثير الرعب .

تساءل (ممدوح) قائلاً :

ـ ترى من يكون هؤلاء الضحايا الذين علقت رءوسهم على هذا النحو ؟

قال (بابلو) بخوف :

ـ أخشى أن تكون جمجمة (ألفريدو) من بينهم .

قال (ممدوح) محاولاً تهدئة مخاوفه :

ـ لا تستطيع أن تحكم على ذلك الآن .. وربما تكون هذه الجماجم قد وضعت على هذا النحو ؛ لبث الخوف فى نفوس المتسللين إلى هذا المكان ، وإنذارهم بعاقبة فعلتهم .

ثم أردف قائلاً وهو ينظر إليه :

ـ هل أنت مستعد لمواصلة طريقك معى ، أم أنك ستكتفى بهذا القدر وتعود من حيث جئت ؟

أجابه (بابلو) بإصرار ، برغم ملامح الخوف المرتسمة على وجهه :

ـ بل سأواصل طريقى معك .

وتقدمه (ممدوح) هذه المرة وهما يجتازان أحراشًا طينية كثيفة .

وبينما (ممدوح) يواصل تقدمه وفى إثره (بابلو) . إذا بإحدى قدميه تغوص إلى أسفل ، مخترقة الأعشاب التى وطأتها .

وكاد (ممدوح) أن ينزلق فى فجوة عميقة .. لولا أنه سارع بالتشبث بأقرب فرع شجرة إليه ليحول دون سقوطه .

سارع (بابلو) بجذبه إلى الوراء .. قائلا :
ــ ما هذا ؟
قال (ممدوح) وهو يثبت كلتا قدميه على الأرض :
ــ إنه فخ أعد بإحكام لاستقبال أمثالنا من الوافدين على هذا المكان .
ونظر (ممدوح) إلى الهوة التى كاد أن يسقط فيها ، وهتف قائلاً :
ــ ياله من فخ قاتل !
أطل (بابلو) بدوره ليرى أكثر من خمس عشرة من الحراب ، وقد تداخلت سنونها الحادة ، على نحو يكفى لتمزيق جسد أى شخص يسقط داخل هذه الهوة ..
قال (ممدوح) :
ــ يتعين علينا أن نفتح أعيننا جيدًا ، وإلا أضيفت جمجمة كل منا إلى المجموعة التى رأيناها هنا .
وبعد مسيرة مضنية وسط هذه الأحراش الشائكة ، رأى (ممدوح) الهضبة الجبلية التى صعد إليها المقدم (عادل) من قبل .. فارتقاها بدوره هو و (بابلو) .
واستخدم (ممدوح) المنظار المكبر لمراقبة السهل الفسيح الذى تطل عليه الهضبة كما فعل زميله من قبل .

كان الصاروخ قائمًا فوق قاعدته الأسمنتيه ، وقد تم تغطيته بالشباك البلاستيكية .. وما عدا ذلك فلم يكن يوجد ما يدل على وجود آدميين فى هذا المكان .
لم يكن هناك سوى الأبنية الثلاث ، والأسلاك الشائكة دون وجود أية حركة أو مظاهر للحياة .
هتف (ممدوح) قائلا :
ــ أعتقد أن هذا هو الصاروخ .
نظر (بابلو) إليه بدهشة قائلا :
ــ أى صاروخ ؟
أعطاه (ممدوح) المنظار المكبر لينظر من خلاله إلى القاعدة قائلا :
ــ انظر !
تطلع (بابلو) إلى الصاروخ من خلال المنظار المكبر قائلاً :
ــ نعم .. إنه يبدو كذلك ..
والتفت إلى (ممدوح) متسائلاً :
ــ ولكن .. ما علاقتك أنت بذلك ؟
ــ أعتقد أنه يتعين علىَّ الآن أن أخبرك بالحقيقة .. إننى لست أسبانيًا كما أدعى ، كما أن اسمى ليس (كارلوس) ولكن (ممدوح) .. وأنا لست عالمًا فى

الآثار .. بل ضابطًا انتحاريًا .

وقد جئت إلى هنا من أجل تحرى الأمر بالنسبة لهذا الصاروخ .. فلدينا معلومات بأن دولة معادية تشارك فى صنعه ، وهذا يشكل خطرًا على أمننا .

هذه هى الحقيقة التى يجب أن تعرفها الآن .

سأله (بابلو) وقد ارتسمت الدهشة على وجهه قائلاً :

ـ ألن تساعدنى إذن فى البحث عن أخى ؟

ـ إننى مدين لك بذلك .. ولكن دعنا نتحرّ الأمر أولاً بالنسبة لهذه القاعدة السرية .

عليك أن تبقى هنا .. ريثما أتسلل إلى هناك ، وأحاول الاقتراب من هذا الصاروخ .

وقبل أن يردّ الفتى ، تركه قاصدًا الصاروخ ..

تركه ليبدأ مخاطرته الكبرى ..

* * *



٧ ـ المتوحشون ..

اندهش (ممدوح) لعدم وجود أية حراسة حول الأسلاك الشائكة المحيطة بقاعدة التجارب .

وما لبث أن تخطى الأسلاك الشائكة ، ودخل إلى القاعدة ، حيث ألقى نظرة سريعة على المكان حوله .

ثم بدأ يتسلل فى خفة وحذر ، إلى أحد المبانى التى وجدها خالية تمامًا من الآدميين ..

وتفحص (ممدوح) المبنى ، ليجد مجموعة من الأوراق المتناثرة ، وعددًا من الأجهزة العلمية .. وإحدى الخوذات العسكرية ..

غادر المبنى وأخذ يسير بمحاذاته فى خطوات متأنية .. وفجأة وجد يدًا توضع على كتفه . فاستدار سريعًا وهو يصوب مسدسه نحو صاحب اليد .

لكنه سرعان ما أرخى يده وهو يقول معاتبًا :

ـ (بابلو) ! ما الذى جاء بك خلفى ؟

أجابه (بابلو) قائلاً :

ـ بصراحة .. لقد خشيت أن يلحقك مكروه فى هذا المكان الذى يخيم عليه سكون الموتى .

ـ كان يجب عليك أن تبقى لتراقب المكان من فوق الهضبة كما طلبت منك .

ـ أتريد منى أن أعود إلى هناك ؟

ـ لا داعى لذلك الآن .. فالمكان يخيم عليه سكون الموتى كما قلت .. ولا أعتقد أننا سنلقى فيه الكثير من المفاجآت .

وتقدمه إلى خارج المبنى قائلاً :

ـ دعنا ننتقل إلى المبنى الآخر .

ورافقه (بابلو) إلى المبنى الآخر ، حيث وجداه لا يختلف كثيرًا عن المبنى السابق .. فقد كانت هناك تلك الأجهزة العلمية ومعمل للأبحاث الكيماوية .. ومجموعة من الأوراق المتناثرة .

وأثار انتباه (ممدوح) .. تلك الفوضى التى تعم المكان ، والتى كشف عنها تناثر الأوراق على الأرض ، وتحطم بعض القوارير الكيميائية ، وكذلك الأجهزة العلمية .. وكأن معركة قد دارت فى المكان .

قال (ممدوح) لـ (بابلو) :

ـ يبدو أن الذين كانوا يقيمون فى ذلك المكان ، لم يرحلوا عنه طواعية .. وإلا لاهتموا بجمع أوراقهم ، واعتنوا بأجهزتهم المحطمة هذه التى خلفوها وراءهم ..



اندهش (ممدوح) لعدم وجود أية حراسة حول الأسلاك الشائكة المحيطة بقاعدة التجارب

قال (بابلو) بصوت هامس وكأنه يخشى أن يسمعه أحد :

ـ ولكن تُرى أين ذهبوا ؟

ـ هذا هو السؤال المحير .. على كل حال دعنا نر ما إذا كان المبنى الثالث لا يختلف كثيرًا عن سابقيه .

ودخل (ممدوح) و (بابلو) إلى المبنى الثالث ، حيث وجدوا أنه كان مجهزًا للإقامة والنوم للعاملين هنا .

لكن أحدًا لم يكن يقيم به .. وكما فى المبنيين السابقين رأى (ممدوح) مجموعة من الأشياء ، والمتعلقات الشخصية لبعض العاملين ، وقد ألقيت على الأرض فى فوضى ظاهرة .

تفحص بعض هذه الأوراق وهتف :

ـ إنها خاصة ببعض العلماء الأسترتانيين .. إذن فقد كانوا هنا ، وكانوا يشاركون فى إعداد هذا الصاروخ بالفعل .

ولكن أين ذهبوا ؟

هتف (بابلو) قائلاً :

ـ اسمع !

أنصت (ممدوح) السمع وقال :

ـ إنه أزيز طائرة مروحية .

ـ إنها قريبة من هذا المكان .

ـ ربما يبحثون عنا .

ـ دعنا نرحل من هنا .

ـ ليس قبل أن أنهى المهمة التى جئت من أجلها بشأن ذلك الصاروخ .. إذ يتعين علىّ أن ألقى نظرة عليه أولاً .

وتوجه (ممدوح) إلى الصاروخ الذى غطته الشباك البلاستيكية ، حيث أخذ يتفحصه عن قرب .. ثم قام بتثبيت عدد من القنابل الإلكترونية فى أماكن متفرقة من الجزء الأسفل منه .

بينما وقف (بابلو) يراقب المكان حوله ، وقد اعتراه القلق .. خاصة بعد أن سكن أزيز الطائرة تمامًا .. مما يدل على أنها استقرت فى مكان ما فوق هذه البقعة من الأرض .. ولابد أن راكبيها قد غادروها الآن .. ولربما ظهروا فى أية لحظة الآن ..

فنادى (ممدوح) قائلاً :

ـ ألم تنته بعد من فحص هذا الصاروخ ؟

أجابه (ممدوح) وهو يهبط من فوق قاعدته :

ـ نعم .. هيا بنا .

لكن ما إن تخطيا الأسلاك الشائكة المحيطة بالقاعدة ، حتى وجدا أربعة أشخاص يحاصرونهما ، وهم يصوبون إليهما أسلحتهم ..

ابتسم (ممدوح) قائلاً فى سخرية برغم خطورة الموقف :

ـ يبدو أن لدينا لجنة استقبال رسمية فى انتظارنا .

وصاح أحدهم قائلاً فى خشونة :

ـ ماذا تفعلان هنا ؟

قال (ممدوح) ساخرًا :

ـ كنا نقوم بجولة سياحية فى المنطقة .

اقترب منه محدثه وعلى وجهه ابتسامة ساخرة بدوره قائلاً له :

ـ إنك تجيد الدعابات .. أليس كذلك ؟

ثم انهال عليه بلكمة قوية مباغتة .

أثارت اللكمة (ممدوح) فهم بالانقضاض عليه .. لكن أحدهم بادره بضربة قوية على مؤخرة رأسه بالجسم المعدنى لمدفعه الآلى .. فهوى على الأرض من أثر الضربة ..

تحول الرجل الذى كان يحادث (ممدوح) إلى (بابلو) قائلاً :

ـ لعلك تكون أرجح عقلاً من زميلك .. وتجيب عن سؤالى بطريقة جادة وصريحة .. إلا إذا كنت ترغب فى أن تلقى مصيره ..

قال (بابلو) :

ـ إن زميلى عالم آثار ، وقد جاء إلى هنا من أجل تعرف آثار (الهوروس) عن قرب .

سأله الرجل قائلاً :

ـ وماذا عنك ؟

ـ لقد طلب منى أن أعمل مرشدًا له ، مقابل أجر ، فوافقت .

أدار له الرجل ظهره قائلاً :

ـ هل أنت واثق بأن هذه هى الحقيقة ؟

ـ نعم .

سأله الرجل قائلاً وهو ما زال موليه ظهره :

ـ وما الذى أتى بعالم آثار ومرشد له إلى قاعدة عسكرية تابعة للجيش السلفادورى ؟

ـ لم نكن ندرى أنه توجد هنا قاعدة عسكرية تابعة للجيش .. لقد عثرنا عليها فى طريقنا بالمصادفة ..

استدار الرجل فجأة لينهال على الشاب بصفعة قوية ترنح لها قائلاً :

ـ إنك كاذب !

قال (ممدوح) وهو ينهض :

ـ إن الفتى لا يكذب .

لكن الرجل صاح فيه قائلاً :

ـ بل كلاكما كاذب .

سأله (ممدوح) :

ـ ألا يمكننا أن نتعرفكم أولاً ؟

قال الرجل :

ـ نعم .. يمكنك ذلك .. إننا من رجال المخابرات العسكرية السلفادورية ، ونحن نقوم بتحريات هنا منذ بضعة أيام ، بشأن العاملين فى هذه القاعدة .. والقائمين على حراستها ، والذين اختفوا منها فجأة وبلا أسباب واضحة ..

ـ هل تقصد أنكم لا تعرفون مصير الأشخاص الذين كانوا يعملون فى هذا المكان ؟

أجابه الرجل :

ـ وهذا ما نريد منكما أن توضحاه لنا .

ـ لكننا لا نعلم شيئًا عن هذا الأمر .

قال له الرجل بغلظة :

ـ هل ستعود إلى المراوغة مرة أخرى ؟

ـ صدقنى هذه هى الحقيقة ..

تحدث إليه الرجل بخشونة قائلاً :

ـ اسمع أيها الرجل .. منذ أن جئت إلى القرية المجاورة ، وأنت محل شك من الجميع .. خاصة بعد الحاحك على المجىء إلى أرض (الهوروس) .. وقد اتصلت بنا الشرطة المحلية ، لتحرى الأمر بشأنك .. وكذلك بالخارجية وثبت أنك لا تعمل فى مجال الآثار .. كما أنك لست أسبانيًا .

ـ لقد سئمت من استخدام هذه الحيلة معى .

قال الرجل مهددًا :

ـ وأنا قد سئمت من الحوار معك .. وسأصحبك معى إلى مقر المخابرات العسكرية أنت وذلك الفتى .. هناك ستجد العديد من الوسائل والأساليب التى نتبعها لإجبار أمثالكما على الحديث .

ثم أشار إلى أعوانه قائلاً :

ـ اقتادوهما إلى الطائرة ..

وصوب الرجال أسلحتهم نحو (ممدوح) و (بابلو) لكى يتقدموهم نحو الطائرة المروحية ، التى هبطت على مقربة من القاعدة ..

وفى تلك اللحظة كان هناك أشخاص آخرون يرقبون

ما يحدث ، وقد تواروا خلف الصخور والأشجار المحيطة بالقاعدة .

وصدرت همهمات غير واضحة من أولئك الأشخاص .. استوقفت قائد مجموعة المخابرات العسكرية ، والذى كان يسير فى المؤخرة .. فتوقف قليلاً وهو يتلفت حوله ..

لكنه لم يلبث أن أرجع ذلك إلى الحشرات والحيوانات المنتشرة فى المكان .. فواصل طريقه من جديد يتقدمه رجاله ، وأمامهم (ممدوح) و (بابلو) ، ووصل الركب إلى موقع الطائرة .. حيث تسمروا فى أماكنهم وقد هتف أحدهم قائلاً :

ـ لقد قتل أحدهم (برنادو) !

كان الطيار مقتولاً بطريقة وحشية ، وقد مُثّل بجثته التى تدلت من الباب الأمامى للطائرة ..

صاح قائد المجموعة قائلاً :

ـ أى شيطان فعل هذا ؟

قال أحدهم :

ـ لابد أنه رفيق آخر لهذين الشخصين .

وتحدث آخر قائلاً :

ـ من يدرى ؟ ربما أن لهم آكثر من رفيق فى هذا المكان .

وصوب أحدهم فوهة سلاحه نحو (ممدوح) و (بابلو) قائلاً فى انفعال :

ـ لابد من قتلهما فى الحال انتقامًا لمقتل (برنادو) .

لكن قائد المجموعة استوقفه وهو يصيح فيه قائلاً بلهجة آمرة :

ـ لا تنس أننى أنا الذى يصدر الأوامر هنا ..هذان الشخصان لابد من استجوابهما .. وهذا أمر أهم من مقتل (برنادو) .

كان (بابلو) يرتجف فى هذه اللحظة وقد رأى فوهة السلاح مصوبة نحوهما ، فى حين بدا (ممدوح) رابط الجأش ، وهو يقول فى هدوء :

ـ تعازى الحارة أيها السادة .. ولكنى أؤكد لكم أنه لا يوجد لنا رفاق فى هذا المكان .. عدا رفيقى الشاب .. وأننا لسنا مسئولين عن موت زميلكم .

قال أحدهم لقائد المجموعة :

ـ إن المشكلة التى تواجهنا الآن ، هى أنه لم يعد يوجد لدينا طيار لينقلنا إلى مقر قيادة المخابرات ..

وفى تلك اللحظة تصاعدت أصوات الهمهمات الغريبة ، وبدأت تتزايد حولهم مما جعلهم يشعرون بالقلق .

وفجأة برز لهم من خلف الأشجار أشخاص تملأ وجوههم وأجسادهم شبه العارية البثور السوداء ، وقد بدوا بوجوههم المشوهة وشعورهم التى تختلط فيها الألوان الحمراء والصفراء أشبه بمسوخ .

تأمل (ممدوح) هؤلاء الأشخاص الذين زاد عددهم على خمسة عشر شخصًا ، وهو فى حالة من الدهشة والذهول .. ولم يكن الآخرون يقلون عنه دهشة وذهولاً ..

وبدا أن الجميع متفقون على تلك الهمهمات الجماعية الغريبة وقد أخذوا يلوحون بسيوفهم وحرابهم فى الهواء ..

تساءل قائد مجموعة المخابرات العسكرية قائلاً :

ـ من أين أتى هؤلاء ؟

قال (ممدوح) هامسًا :

ـ لابد أنهم المسئولون عن مقتل الطيار .

قال (بابلو) بصوت مرتجف :

ـ إنهم يبدون أشبه بوحوش آدمية .

ـ إن نظرة العداء تبدو واضحة فى أعينهم .

تقدم أولئك الأشخاص فى شبه حلقة تحيط برجال المخابرات العسكرية ، و (ممدوح) و (بابلو) وكلما

تقدموا أكثر ، بدا وكأن الحلقة تضيق عليهم ..

سأل أحد المحاصرين قائلاً :

ـ هل سنبقى واقفين هكذا مكتوفى الأيدى ، وأولئك المتوحشون يحاصروننا على هذا النحو ؟

قال القائد مصدرًا أوامره :

ـ أطلقوا عليهم الرصاص !

قال (ممدوح) محذرًا :

ـ إن هذا خطأ فادح .. فلن تنجحوا فى التخلص منهم جميعًا ، وهم بهذه الكثرة .

لكن تحذير (ممدوح) ذهب هباء .. إذ صوب الرجال أسلحتهم نحو الأشخاص الذين يحاصرونهم ، وأخذوا يطلقون عليهم الرصاص .

وما كادوا يفعلون حتى أطلق الآخرون حرابهم وأغمدوا سيوفهم فى صدورهم ، غير آبهين للرصاص الذى يطلقونه عليهم ، والذى تسبب فى مقتل بعضهم .

ودارت معركة حامية بين الطرفين .. هاجم فى أثنائها أحدهم (ممدوح) بحربته .. لكن (ممدوح) تفادى النصل الحاد المصوب نحوه ، وأطبق على الجسم المعدنى للحربة بقوة دافعًا غريمه إلى الوراء .

ثم ما لبث أن نجح فى استخلاص الحربة منه

ليصوبها إلى صدره فيرديه قتيلاً .

أما (بابلو) فقد وجد نفسه محاصرًا باثنين من أولئك المتوحشين .. وقد شهروا سيوفهم فى وجهه تأهبًا لتمزيق جسده .

إنه لمأزق حقيقى .. فكيف يخرجان منه ؟

* * *



٨ – سرداب الرعب ..

سارع (ممدوح) بتناول مسدسه ليصوب منه طلقة سريعة لأحدهم فأرداه قتيلاً .

بينما اشتبك (بابلو) مع الآخر ، وهو يقبض على كلا معصميه محاولاً إبعاد السيف عنه ، على نحو أعجز (ممدوح) عن إطلاق الرصاص على المهاجم .

وفى تلك اللحظة سقط اثنان من رجال المخابرات العسكرية السلفادورية قتلى ، بحراب وسيوف أولئك المشوهين ، فى حين استمر قائدهم ومعه شخص آخر من أعوانه يدافعان عن نفسيهما بأسلحتهما النارية .

وقد سقط عشرة أشخاص من المتوحشين صرعى من أثر طلقات الرصاص .. ومن الغريب أن هذا زادهم عنفًا ، كأنهم لا يهابون الموت ..

فقد استمروا يصدرون همهمتهم الغريبة ، وهم يخوضون هذا الصراع ، دون أن يعبئوا بطلقات الرصاص المصوبة إليهم .. وبالرغم من كل أولئك القتلى الذين تساقطوا من بينهم .

انقض (ممدوح) على الشخص الذى يتصارع مع

(بابلو) ليطوق عنقه بذراعه وهو يجذبه إلى صدره :

بينما نجح (بابلو) فى استخلاص السيف منه على إثر شل (ممدوح) لحركته على هذا النحو .

لكن (ممدوح) سارع بتنبيهه ، وهو ما زال يطوق عنق الشخص قائلاً :

ـ (بابلو) .. احترس !

التفت (بابلو) وراءه سريعًا ، ليجد أحدهم وهو يهم بتصويب حربته نحوه فسارع بطعنه بالسيف الذى فى يده ، بينما وجه (ممدوح) لكمة قوية إلى فك الشخص الذى يتصارع معه .. لكنها لم تحدث أثرًا كبيرًا .

وصرخ غريمه صرخة مرعبة وهو يطبق على سترته وعنقه بكلتا يديه ليرفعه عاليًا .. ثم يدفع به ليرتطم بإحدى الأشجار .

وتناول إحدى الحراب ، ليطعن (ممدوح) بها .. لكن (بابلو) طعنه بالسيف فى ظهره .. طعنة لم تترك جرحًا عميقًا .. بل جعلت المتوحش يستدير إليه وقد ازدادت وحشيته .

حاول (بابلو) الدفاع عن نفسه بالسيف الذى فى حوزته .. لكن المتوحش أطبق على معصمه بقوة آلمته ، وانتزع السيف منه .. ثم دفع برأس (بابلو)

إلى إحدى الصخور ليثبتها فوقها ، وهو يهم ببتر عنقه بالسيف .

وبينما هو يرفع يده بالسيف عاليًا ؛ لينهال به على عنق الشاب ، كان (ممدوح) قد التقط مسدسه الذى سقط منه أرضًا عندما أطاح به ذلك المتوحش نحو الشجرة .

ثم أطلق رصاصة سريعة ومحكمة ، أصابت المتوحش فى ظهره ، وجعلته يهوى على الأرض قبل أن ينهال بسيفه على الشاب ..

قال الفتى وهو يلهث من شدة الخوف :

ـ لقد أنقذت عنقى .

جذبه (ممدوح) سريعًا من يده قائلاً :

ـ دعنا نهرب من هنا .

واندفعا يخترقان الأشجار الكثيفة ، وهما يركضان بأقصى ما لديهما من قوة .

بينما كان المزيد من المتوحشين يتوافدون على مكان المعركة ، مصدرين همهمتهم الغريبة ، وهم يحاصرون ضابطى المخابرات العسكرية .

ووجد القائد مسدسه وقد فرغ من الطلقات ، فى حين أوشك مدفع زميله على أن يفرغ من طلقاته أيضًا .. فقال له :

ـ يتعين علينا أن نستسلم لهم .
قال زميله بخوف :
ـ هل تعتقد أنهم سيبقون على حياتنا لو استسلمنا لهم ؟
أجابه القائد وهو فى حالة مماثلة من الخوف والارتباك :
ـ لست أدرى .. ولكن ليس أمامنا حل آخر .. إننا لن نتصدى لكل هؤلاء المسوخ المتوحشين ، بسلاحين فارغين من الطلقات .
وألقى الرجلان بسلاحيهما ، وهما يرفعان أيديهما عاليًا قائلين :
ـ إننا نستسلم .. لقد ألقينا بالسلاح ونعلن استسلامنا لكم .. هل تفهمون ذلك ؟ لا تقتلونا فنحن نستسلم لكم ..
لكنهم لم يتلقوا ردًا على ذلك سوى تلك النظرات الوحشية فى وجوه المتوحشين وهم يتقدمون نحوهم بخطوات بطيئة .. فى حين توقفت همهمتهم .
وفجأة تلقى كل منهما ضربة قوية على رأسه من الخلف ، هوى على إثرها فاقد الوعى .
وبرز من خلفهم عملاق من هؤلاء المتوحشين ، وقد

أمسك فى يده بهراوة غليظة .
وما لبث أن أشار إلى الآخرين ، فقاموا بتقييدهما بالحبال .. ثم حملوهما بعيدًا عن المكان .
وأشار المتوحش العملاق بيده إلى عدد آخر من زملائه ، فقاموا بإضرام النيران فى الطائرة المروحية .
ثم لحقوا بمن سبقوهم فى موكب مهيب .. وما إن ابتعدوا عن المكان حتى انفجرت الطائرة ، بعد أن أمسكت النيران فى خزان الوقود بها .

* * *

توقف (ممدوح) عن الركض وهو يرتكز على أحد جذوع الأشجار ، وقد أخذ يلهث بشدة .
بينما سقط (بابلو) جاثيًا على ركبتيه من شدة التعب ، وتساءل لاهثًا :
ـ هل سمعت هذا الانفجار ؟
ـ نعم .
ـ ترى ما مصدره ؟
ـ لا أدرى وإن كنت أظن أنها الطائرة .. نعم لقد فجروا الطائرة المروحية ..
ـ ولابد أنهم قد قضوا على رجال المخابرات العسكرية .. ولكن من هؤلاء المسوخ ؟

ـ إنهم يبدون وكأنهم مصابون بالجذام .. إننى لم أر أبشع منهم .

ـ ربما كان هؤلاء الأشخاص قد أصيبوا بلعنات هذه الأرض :

ـ أتظن حقًا أن هذه الأرض تحيطها اللعنات ؟

ـ هذا ما يردده الجميع فى قريتنا .

ـ أما أنا فأظن أن هناك شيئًا شيطانيًا يدور فى هذا المكان .

قال له (بابلو) وفى عينيه نظرة خوف :

ـ أتعتقد أن أخى قد وقع فى أيدى هؤلاء المسوخ ؟

ـ ربما .. وربما وقع فى أيدى أولئك العاملين فى القاعدة السرية .. أو فى أيدى رجال المخابرات العسكرية ، الذين يتولون حماية هذه القاعدة .. هناك احتمالات عديدة .. وهناك أمور كثيرة يصعب تفسيرها مثل اختفاء العاملين فى القاعدة .. وظهور هؤلاء المتوحشين ذوى الأجساد المشوهة .

وتلفت (بابلو) حوله قائلاً :

ـ إلى أين نذهب من هنا ؟

قال له (ممدوح) وهو يتلفت حوله بدوره :

ـ لا أدرى .. ربما يتعين علينا أن نواصل طريقتنا فى هذا الاتجاه .

ـ هل سنصادف أولئك المتوحشين مرة أخرى ؟

ـ سنكون معرضين لذلك بالطبع .. إذ يبدو أنهم موجودون بأعداد كبيرة فى هذا المكان .

وأردف (ممدوح) يسأله :

ـ أترغب فى العودة إلى القرية ؟

ابتسم (بابلو) ابتسامة باهتة وكأنه يحاول أن يطمئن نفسه .. وقال :

ـ حتى طريق العودة لم يعد مأمونًا .. من الأفضل أن نواصل بحثنا عن أخى وصديقك ؛ لنعرف أى مصير انتهيا إليه ..

واستأنف (ممدوح) و (بابلو) طريقهما عبر الأشجار ، حتى وصلا إلى أرض يابسة .. ليس بها سوى الرمال .

صاح (بابلو) قائلاً :

ـ لم أكن أظن أننى سأجد هنا صحراء قاحلة كهذه .. خاصة بعد كل تلك الأحراش التى قطعناها .

أشار (ممدوح) إلى بعض الأعمدة الرخامية والهياكل الحجرية قائلاً :

ـ انظر إلى هذا .

نظر (بابلو) إلى حيث أشار (ممدوح) وهو يهتف قائلاً :

ـ إنها تبدو .. وكأنها منطقة أثرية ..

ـ ربما .. هذه هى آثار هنود (الهوروس) التى يتحدثون عنها .. دعنا نذهب لنراها عن قرب ..

لكن ما إن تقدم (ممدوح) عدة خطوات إلى الأمام ، حتى لاحظ أن (بابلو) لا يتبعه ، وأنه قد جمد فى مكانه ، وهو يتطلع إلى تلك الآثار بعينين زائغتين وشفتين مرتعشتين .

تأمله (ممدوح) بنظرة فاحصة قائلاً :

ـ هل أنت خائف ؟

قال (بابلو) بصوت مرتجف :

ـ لا أخفى عليك ذلك .

ـ تستطيع أن تبقى أنت هنا ، فى حين أذهب أنا إلى هناك لأطلع على تلك الآثار عن قرب .

ـ وما الذى سيعود علينا من رؤية الآثار ؟

ـ قد يقربنا ذلك من التوصل إلى الحقيقة حول مصير أخيك وصديقى ..

ـ وقد يصيبنا ذلك باللعنة فنتحول إلى مسوخ كهؤلاء ..

ـ دعك من هذه الخرافات .

ـ ولكنك رأيتهم بنفسك أليس كذلك ؟

ـ هذا لا يعنى أن الحالة التى كانوا يبدون عليها ، سببها لعنة أصابتهم .. على كل حال تستطيع أن تبقى وأذهب أنا بمفردى .

ـ بل .. سآتى معك .

وذهب (ممدوح) و (بابلو) إلى المنطقة الأثرية ، حيث وجدا هناك معالم حضارة قديمة قائمة فى المكان ..

قال (ممدوح) وهو يتفحص الأعمدة الرخامية ، والأحجار الجرانيتية التى سجلت عليها بالرسوم بعض مظاهر هذه الحضارة :

ـ يبدو أن هنود (الهوروس) كانوا متقدمين بصورة كبيرة ، عن غيرهم من الهنود الذين استوطنوا أمريكا اللاتينية فى هذه الفترة ، فتلك الأعمدة الرخامية والأحجار الضخمة ، تدل على أنه كان يوجد قصور كبيرة فى هذا المكان .

وتلك الرسومات تشابه ما كان يسجله الفراعنة قديمًا على الأحجار والجدران .

قال (بابلو) وهو يتفحص بعض الأوانى الفخارية الهندية القديمة :

ـ لقد رويت أساطير كثيرة حول حضارة

(الهوروس) ، وتقدمهم بالنسبة لعصرهم .

وتأمل (ممدوح) المكان حوله قائلاً :

ـ إن ذلك الصمت الذى يخيم على المكان يقلقنى .

ـ وأنا أيضًا .. فعدا هذه الآثار القديمة لا يوجد هنا سوى صفير الرياح .

ونظر من خلال المنظار المكبر إلى الأفق الممتد أمامه قائلاً :

ـ أعتقد أنه يمكننا أن نجد المزيد من آثار (الهوروس) ، لو جولنا قليلاً ، فأنا أرى عددًا من الأعمدة الرخامية أمامنا ..

ـ إذن دعنا نذهب إلى هناك ..

وذهبا إلى منطقة أثرية أخرى ، دون أن يجدا بها ما يميزها عن سابقتها .. فلم يكن يوجد بها سوى تلك المعالم الأثرية القديمة من أعمدة رخامية ، وأوان فخارية ، وأحجار سجلت عليها بعض الرسومات .

واسترعى انتباه (ممدوح) وجود تمثال حجرى يمثل رأس ذئب .. فهتف قائلاً :

ـ انظر إلى هذا ..

قال له (بابلو) وهو يتفحص التمثال عن قرب :

ـ إنه ذئب (الأبيوس) وله قداسة خاصة عند هنود

(الهوروس) القدامى .

ـ إن عينيه تتوهجان من شدة الاحمرار .. أليس هذا غريبًا ؟

ـ بلى .. إن عينيه تشعان إشعاعًا غريبًا .

وتأمل (ممدوح) العينين قائلاً :

ـ أعتقد أننى قد عرفت السبب .. فالعينان مفرغتان .. وقد وضع بداخلهما حجران من الياقوت الأحمر .

نظر (بابلو) إلى عينى التمثال ، وهو يهتف قائلاً :

ـ نعم .. هذا حقيقى .. إنه ياقوت ..

ومد (ممدوح) أصابعه داخل عينى التمثال ، ليتناول منها إحدى أحجار الياقوت .. لكن ما إن فعل ذلك ، حتى استدارت الرأس الحجرية وهى تتحرك فى الاتجاه المعاكس كاشفة عن فجوة كبيرة أسفلها ..

تراجع (بابلو) إلى الخلف .. فى حين تأمل (ممدوح) الفجوة والأتربة التى أخذت تنهال منها .. ثم عاد لتأمل قطعة الياقوت فى يده .

قال (بابلو) وهو يزدرد لعابه :

ـ ياله من أمر غريب !.. لقد تحرك التمثال الحجرى .

ـ نعم .. ويبدو أن هذا قد حدث بسبب تحريكى

لقطعة الياقوت الحمراء من مكانها فى عينى الذئب .

ـ وتلك الفجوة فى أسفله .

ـ أعتقد أنها تقود لشىء ما .

وانتظر (ممدوح) حتى انقشعت الأتربة التى تخلفت عن حركة التمثال ، لينظر داخل الفجوة وهو يحاول اختراق حجب الظلام داخلها .

ثم ما لبث أن هتف قائلاً :

ـ هناك سلم حجرى يؤدى إلى أسفل .

وتقدم (ممدوح) داخل الفجوة ، محاولاً تلمس طريقه فى الظلام ، يتبعه (بابلو) .. الذى أخذ يهبط فى درجات السلم الحجرى فى تؤدة وحذر .

كان الظلام دامسًا فى قاع الفجوة .. مما اضطر (ممدوح) إلى استخدام مصباح ضوئى لكى ينير له الطريق .. وكان المكان مشبعًا برائحة عفنة تكاد أن تزكم الأنوف .

واصطدم (بابلو) بشىء اعترض طريقه .. فهتف قائلاً :

ـ ما هذا ؟

صوب (ممدوح) أشعة مصباحه نحو (بابلو) ، فرأيا تمثالاً حجريًا يمثل أحد هنود (الهوروس) القدامى .



انتظر (ممدوح) حتى انقشعت الأتربة التى تخلفت عن حركة التمثال ، لينظر داخل الفجوة وهو يحاول اختراق حجب الظلام داخلها ..

تراجع (بابلو) إلى الوراء فى وجل ، وأرشدتهما أشعة المصباح إلى عدد من التماثيل الأخرى غريبة الشكل ، وقد اصطفت على الجانبين .. ظل (ممدوح) يتقدم و (بابلو) فى إثره ، داخل هذا السرداب الزاخر بالتماثيل الحجرية ، بعضها يمثل آدميين وبعضها يرمز إلى حيوانات .. والبعض الآخر خليط من الحيوانات والآدميين فى شكل تمثال واحد .

وفزع (بابلو) عندما اعترض طريقهما قناع حجرى ضخم ، يمثل وجهًا بشعًا .. فهتف قائلاً :

ـ يا إلهى .. إنه يبدو كما لو كان وجه شيطان !

ـ أعتقد أنه خلف هذا القناع الحجرى الكبير ، المزيد من الأسرار التى يخفيها (الهوروس) .

قال (بابلو) بصوت مرتعش :

ـ إن المكان هنا مخيف .. وأنا أفضل أن نعود من حيث أتينا .

ـ لكننا لم ننجز مهمتنا بعد .

ـ إننى أشعر بخوف شديد وتملؤنى الرهبة من هذا المكان .

وفى تلك اللحظة أطل وجه من تلك الوجوه المشوهة التى تمتلئ بالبثور السوداء ، من خلف أحد التماثيل

الحجرية ، وقد أخذت العينان البراقتان فى ذلك الوجه ترقبان (ممدوح) ورفيقه ..

وبينما كان (ممدوح) يتقدم نحو القناع الحجرى ، وهو يبحث عما يمكن أن يكون مختفيًا وراءه إذا بذلك الشخص ذى الوجه المشوّه ينقض على (بابلو) من الخلف ، ليضغط بأصابعه فى قوة على مؤخرة عنقه .

وأحدث هذا الضغط بالأصابع أثره الفعال على (بابلو) ، الذى فقد وعيه فى الحال ، قبل أن يحاول الاستغاثة ..

وحمله الرجل المشوه بين ذراعيه ليذهب به بعيدًا عن المكان ..

* * *



٩ ـ حافة الخطر ..

جذب (ممدوح) حافة القناع الحجرى من أحد جانبيه ، فتحرك كاشفًا عن مشعل من النار يضىء مدخل كهف كبير .

هتف (ممدوح) قائلاً لـ (بابلو) :

ـ انظر ماذا يوجد هنا ؟

لكن أحدًا لم يجبه .

عاد (ممدوح) ليناديه قائلاً :

ـ (بابلو) .. أين أنت ؟ لِمَ لا تجيب ؟

لكن نداءه بقى بلا إجابة .. فأثار ذلك قلقه .. مما دعاه إلى الذهاب إلى المكان الذى ترك فيه (بابلو) ، حاملاً معه مصباحه الضوئى ..

وفوجئ بعدم وجود (بابو) .. فأخذ يناديه بصوت عال دون أن يسمع ردًا .

تساءل (ممدوح) فى حيرة قائلاً :

ـ ترى .. أين ذهب ؟ هل عاد أدراجه خوفًا من المجهول الذى ينتظره هنا ؟

لكن .. كان يستطيع أن ينبهنى إلى ذلك ، على الأقل قبل رحيله .

هل أصابه مكروه ؟

انزعج (ممدوح) لهذا الخاطر .. وبدا عاجزًا عن تقرير التصرف الذى يتعين عليه اتخاذه .

وأخيرًا قرر التوجه نحو الكهف واستكشاف ما بداخله ، ثم يبحث بعد ذلك عن (بابلو) ..

دخل (ممدوح) إلى الكهف بخطوات حذرة ، حيث أخذ يتحسس جدرانه ، التى رأى عليها رسومًا ، تماثل تلك التى رآها من قبل على الأحجار المختلفة من آثار (الهوروس) القديمة .

لكنها كانت رسومًا مخيفة بعضها يمثل شياطين تقذف باللهب من فمها والبعض الآخر كان يمثل حيوانات خرافية مرعبة فى مظهرها ..

وأحس بالأرض رخوة فى بعض أجزائها تحت أقدامه ، مما دعاه إلى أن يتحسس موقع قدميه ..لكن ذلك لم يمنع إحدى قدميه من أن تغوص داخل أحد هذه الأجزاء الرخوة من الأرض ..

جذب (ممدوح) قدمه بصعوبة من الأرض الرخوة ، ليثب إلى جزء صلب من الأرض ..

وأحس وكأنه يسير وسط حقل من الألغام ، وهو يختار مواقع قدميه .. بينما أخذت يداه تتحسسان

جدران الكهف ، الذى استند إليها بظهره ، محاولا الوصول إلى أحد السراديب التى كانت تمتد بداخله .

وفجأه امتدت يدان من تلك الأيدى المشوهة ، من بين صخور جدران الكهف ، لتقبض على عنقه من الخلف ..

وبرغم المفاجأة إلا أن (ممدوح) واجه الموقف سريعًا .. إذ رفع إحدى يديه عاليًا خلف ظهره ، ممسكًا بالمصباح الضوئى .. ثم أضاء المصباح فجأة بعد أن كان قد أطفأه ، معتمدًا على ضوء الشعلة .

وأحدث الإشعاع الضوئى للمصباح أثره المتوقع ..

إذ إن إبهاره الشديد فى هذا المكان الذى يخيم عليه الظلام ، غشى عينى مهاجمه.. فخفف من قبضتيه على عنقه ..

أتاح هذا الفرصة لـ (ممدوح) لكى يقبض على ساعد عدوه ليجذبه بقوة فى مواجهته ، مسددًا له لكمة عنيفة جعلته يترنح خطوتين إلى الوراء .. ثم بادره بلكمة أخرى جعلته يرجع خطوة أخرى .. لتستقر قدماه فوق إحدى الأجزاء الرخوة من الأرض .. وتغوص فيها .

ورأى (ممدوح) غريمه ، وهو يغوص سريعًا داخل ذلك الجزء الرخو من الأرض الذى استقرت عليه قدماه ..

حاول (ممدوح) مساعدته .. لكن محاولته فشلت .. إذ بدا وكأن الأرض تبتلعه ، وهى تحدث فورانًا فى أثناء غوصه بداخلها .

ولم يلبث أن اختفى تمامًا ، فى حين لم يبق على السطح سوى بضع فقاقيع من أثر هذا الفوران الغريب ..

تطلع (ممدوح) إلى ما يراه فى ذهول .. وقد أخذ يتساءل عما تنطوى عليه هذه الأرض الغريبة .. التى تبدو وكأنها تحتوى على حمم بركانية .

وظل متسمرًا فى مكانه لبرهة من الوقت .. يتطلع إلى ذلك الموقع من الأرض الذى اختفى فيه ذلك الشخص المشوّه ..

لكنه بعد قليل كان قد استطاع أن يسترد رباطة جأشه ، ليواصل طريقه — وقد أصبح أكثر حذرًا — متجهًا نحو أحد السراديب .

واضطر للاستعانة بمصباحه الضوئى مرة أخرى ، حيث كان السرداب أكثر إظلامًا ..

لكنه ما كاد يخطو بضع خطوات بداخله ، حتى تسمر فى مكانه بعد أن انغرس سن حربة حادة أمام قدميه تماماً ..

ونظر أمامه ، فرأى أحد هؤلاء المتوحشين من ذوى الوجوه المشوهة يعترض طريقه ..

وفجأة سمع همهمات مشابهة لتلك التى سمعها بجوار الطائرة المروحية .. والتفت خلفه ليرى أكثر من عشرة أشخاص من هؤلاء المشوهين ، يتقدمون نحوه داخل السرداب شاهرين سيوفهم وحرابهم ، وعلى الفور انتزع (ممدوح) الحربة المغروسة أمامه ليصوبها إلى الشخص الذى يعترض طريقه ..

ثم اندفع وهو يركض بكل قوة ، بعد أن أسقط على الأرض الشخص الذى يعترضه .

ولاحقه الآخرون ، وهم يطلقون همهمتهم الغريبة ، ووجد بصيصاً من الضوء فى نهاية السرداب ، فاندفع صوبه بأقصى سرعته ، تلاحقه الحراب التى قذفه بها مطاردوه .

ووصل (ممدوح) إلى نهاية السرداب ، ليجد أمامه هوة عميقة ، تفصل بين السرداب وبين مرتفع جبلى يواجهه .. وتتناثر به الأشجار الضخمة العالية .

كانت الهوة متسعة ويصعب تخطيها إلا بوثبة غير عادية .. وتحتاج إلى جرأة كبيرة من الواثب ..

لكن لم يكن أمام (ممدوح) حل آخر .. فقد كان أولئك المتوحشون يوشكون على اللحاق به ، وهم مصرون على قتله .

وتراجع (ممدوح) خطوتين إلى الوراء — ثم وثب وثبة قوية هائلة ، وبصعوبة شديدة تعلق بحافة المرتفع الجبلى ، بعد أن عجزت قدماه عن أن تستقرا فوق أرض المرتفع .

تشبث (ممدوح) بحافة الجبل ، وقد تدلت قدماه لأسفل وأصبح فى موقف صعب للغاية ..

حاول أن يساعد نفسه على الصعود إلى أعلى .. لكن أجزاء من الحافة الترابية تفتتت تحت ضغط أصابعه .

وما لبث أن ألقى أحدهم بحربته ، ليستقر حدها على مقربة من يده مما زاد الموقف صعوبة .

ولمح (ممدوح) فرع شجرة يتدلى على بعد عدة سنتيمترات من الحافة الجبلية التى يتشبث بها ..

ولم يكن يدرى ما إذا كان هذا الفرع قوياً إلى الدرجة التى يمكن معها أن يتحمل ثقل جسده أم لا .

كما لم يكن واثقاً من قدرته على الوصول إليه ، مع

مافى هذا من مخاطرة تقتضيه أن يبعد يديه عن الحافة الجبلية مما قد يدفع به إلى الهاوية .

لكن المخاطرة كانت قائمة على أية حال .. فلم يكن يستطيع أن يبقى معلقًا على هذا الوضع .. ولم تكن يداه لتتحملا ثقل جسده أكثر من ذلك .

فإذا كان الموت محيطًا به من كل جانب .. فإن عليه أن يبذل أية محاولة لإنقاذ حياته .

ولم يجد (ممدوح) بدًا من المخاطرة .. فدفع بجسده إلى أعلى وهو يدفع بيديه إلى أقصى ارتفاعها متخليًا عن الحافة الجبلية .. ومحاولاً التشبث بفرع الشجرة المدلى ..

فما إن لامست أصابعه فرع الشجرة ، حتى تشبث به بكل ما أوتى من قوة .

تصبب منه العرق غزيرًا .. وهو لا يصدق أنه قد نجح فى التعلق بهذا الفرع الذى قد يعنى نجاته .

وتعلق بالفرع ، لكى يرفع جسده عاليًا فوق حافة المرتفع الجبلى .

كان الفرع قويًا وطويلاً إلى درجة مكنته من الارتفاع ..

وهمّ بالوثوب إلى الأرض الجبلية .. لكن قبل أن يفعل .. عاد ليتشبث بالفرع بكل قوته ..

إذ رأى أسفل قدميه عشرات من العقارب السامة ، تزحف فوق الأرض الجبلية .. وكانت قفزة واحدة منه إلى الأرض ، كافية لكى يلقى عشرات اللدغات السامة .

تأرجح (ممدوح) بفرع الشجرة ليبتعد عن موقع العقارب .. ثم التف بجسده فى حركة بهلوانية ، ليتعلق بفرع آخر أضخم حجمًا .. وأخذ يتنقل من فرع لآخر حتى قفز إلى أرض عشبية خالية من الحشرات السامة ، وبعيدة عن حراب المتوحشين .

وأخذ (ممدوح) يسير فى أرض ممتدة أمامه بلا هدف واضح ، ودون أن يجد آثارًا تقوده إلى أى شىء .

وكان التعب قد نال منه .. كما أن الجوع والعطش أنهكا جسده الذى لم يذق طعم النوم والراحة منذ يومين ..

وأحس بالرؤية تنعدم أمامه .. كما أحس بأن قدميه لم تعودا قادرتين على حمله .. فانهار على الأرض فاقدًا الوعى ..

وظل راقدًا على وجهه حوالى نصف ساعة .. لكنه لم يكن فاقدًا لحواسه تمامًا .. فقد تناهى إلى سمعه صوت أزيز طائرة تحلق فوقه .. وخيل إليه أن هناك



وأخذ (ممدوح) يسير فى أرض ممتدة أمامه بلا هدف واضح ،

ودون أن يجد آثارًا تقوده إلى أى شىء ..

أشخاصًا يحملونه إليها أو يرفعونه إلى أعلى بوساطة الحبال ..

لكنه سرعان ما فقد وعيه تمامًا .. ولم تعد حواسه قادرة على إدراك أى شىء يدور حوله .

* * *

بدأ (ممدوح) يسترد وعيه تدريجيًا .. وهو يفتح عينيه بصعوبة ..

كانت الإضاءة خافتة فى المكان .. لكنه وجد نفسه ممددًا على فراش وثير ، وكان يشعر بظمإ شديد .. فحاول أن يساعد نفسه على النهوض بحثًا عن الماء .

لكنه سمع صوتًا رخيمًا ورصينًا يقول فى هدوء وكأنه يقرأ أفكاره :

ـ ابق مستريحًا .. واطلب ما تشاء ..

ومن خلال الضوء الخافت تبين (ممدوح) وجود شخص طويل القامة ، واقفًا أمام فراشه .

وبدا له أنه يعرف ذلك الشخص .. كما استطاع أن يميز صوته .

سأله قائلاً :

ـ هل يمكن زيادة الضوء فى هذه الغرفة ؟

أجابه الرجل :

ـــ بالطبع .. لقد تعمدنا أن يكون خافتًا حتى لا يزعجك .

وأضيء النور فى المكان .. فرأى (شيكو) شاخصًا أمامه ، وخلفه أحد الأشخاص .

سأله (شيكو) وعلى وجهه ابتسامة هادئة :

ـــ هل تطلب شيئًا آخر يا سنيور (كارلوس) ؟

ـــ نعم .. ماء .. أريد أن أشرب .

نظر (شيكو) إلى تابعه قائلاً :

ـــ أحضر له كوبًا من الماء .

وجلس (شيكو) إلى مقعد مجاور لفراش (ممدوح) وهو يشرب الماء .. وقد تبدلت نظرات عينيه اللتين كانتا تتفحصانه بعمق .

وعندما انتهى من الشرب ، عاد ليرسم الابتسامة على وجهه وهو ينظر إليه .. قائلاً :

ـــ لابد أن لديك الكثير من الأسئلة التى تريد أن تطرحها يا سنيور (كارلوس) .

ـــ نعم .. أين أنا ؟

ـــ أنت فى قصرى .

ـــ وكيف جئت إلى هنا ؟

ـــ لقد لمحتك ملقى على الأرض فى أثناء تجوالى

بطائرتى الخاصة ، فوق أرض (الهورروس) .. فطلبت من رجالى حملك إلى الطائرة ، حيث أحضرتك إلى هنا .. وقام رجالى بعمل اللازم لإسعافك وتقديم كل ما يلزمك من مساعدة .

ـــ إننى أشكرك على كل ما قدمته من أجلى .

ـــ لابد أنك جائع .. سأطلب من الخادم إحضار بعض الطعام لك .

ـــ إننى جائع بالفعل .. ولكنى أريد أن أعرف أولاً .. ما الذى جعلك تحلق بطائرتك فوق أرض (الهورروس) فى اللحظة التى كنت فيها فاقد الوعى ؟

ـــ هل نسيت ؟ لقد أخبرتك من قبل .. إننى هندى أنتمى إلى (الهورروس) .. ويمكننى أن أذهب إلى هناك متى أردت .. وهذا هو الشىء المحرم على الغرباء .. لقد حذرتك من قبل كى لا تذهب إلى هناك .. لكنك لم تأبه لتحذيرى ، وقد كدت أن تلقى حتفك نتيجة لذلك ..

سأله (ممدوح) قائلاً :

ـــ ألم تعثر على أى شخص آخر ، عندما حلقت طائرتك فى ذلك المكان ؟

ـــ تقصد (بابلو) ؟ نعم .. لقد كان السبب الرئيسى لذهابى إلى (الهورروس) ، هو البحث عن (بابلو) وعنك .

فقد جاءتنى أمه إلى هنا وهى فى حالة يرثى لها ، باعتبارى الأب الروحى لهذه القرية فتوسلت إلىَّ أن أبحث لها عن ابنها ، بعد أن علمت بذهابه معك إلى أرض اللعنات ..

كانت المرأة المسكينة فى حالة من الهلع وهى تخشى أن تفقده كما فقدت ابنها الأكبر .. فوعدتها بالبحث عنه .

وركبت الطائرة بنفسى وذهبت إلا هناك بحثًا عنك وعنه .. لكن مع الأسف لم أعثر إلى عليك فقط وأنت فاقد الوعى .. أما الفتى فلم نعثر له على أثر ..

ولا أدرى كيف سأخبر تلك المرأة المسكينة .. بفقدها لابنها الأصغر ، كما فقدت ابنها الآخر .

وأردف قائلاً بلهجة غاضبة :

ـ أنت المسئول عن ذلك .. لم يكن يتعين عليك الذهاب إلى هناك .. ولم يكن يحق لك أن تشجعه على الذهاب معك .. خاصة بعد أن علمت بأمر فقد أخيه .. ما الذى تستطيع أن تقوله الآن لأمه المسكينة ؟

ـ لقد أصر على مصاحبتى إلى هناك .

قال له (شيكو) وهو مستمر فى لهجته الغاضبة :

ـ كان يتعين عليك أن تمنعه من ذلك .

ـ ولكن .. لماذا لم تلجأ الأم إلى الشرطة ؟ إن هذا

واجب رجال الشرطة .. كان عليهم أن يتولوا أمر البحث عن الفتى .

ـ حتى رجال الشرطة يخشون الذهاب إلى تلك المناطق .. إنهم يخافون لعنة (الهوروس) .. ولكن قل لى .. لقد كان الفتى معك .. فما الذى حدث له ؟

هل تعرض لخطر فى أثناء مصاحبتك له .

ـ لقد اختفى فجأة داخل أحد الكهوف .. وحاولت أن أبحث عنه لكنى لم أعثر له على أثر ..

ـ هذا ما كنت أخشاه .. لابد أنه قد تعرض لخطر داهم داخل الكهف .

ـ لكن يبدو أن هناك أشخاصًا آخرين لا يخشون الذهاب إلى تلك الأرض الملعونة ، كما هو الحال بالنسبة لرجال الشرطة هنا .

ـ ومن هم هؤلاء الأشخاص الذين تعنيهم ؟

* * *



١٠ - وكر الأسرار ..

قال (ممدوح) :

- رجال يمثلون المخابرات العسكرية ، والجيش السلفادورى ..

- هل التقيت ببعضهم هناك ؟

- نعم .

- وماذا كانوا يفعلون هناك ؟ أخبرنى بما تعرفه عن هذا الأمر .

- لقد قلت لى من قبل إنك تستطيع أن تذهب إلى (الهوروس) بلا أضرار .. ولابد أنك قد علمت بأمرهم .

- إننى لم أذهب إلى هناك منذ فترة طويلة .

- إنك تبدو مهتمًا بالأمر .

- إنه الفضول .. لقد سمعت أن الجيش يجرى بعض التجارب العسكرية هناك .. ويبدو أن إحدى الوحدات العسكرية لم تعد من أرض (الهوروس) .

- إن الأمر أخطر من ذلك يا سنيور (شيكو) ..

- ماذا تعنى ؟

- ما هى آخر مرة ذهبت فيها بطائرتك إلى أرض (الهوروس) قبل اليوم ؟

- منذ ثلاثة أسابيع تقريبًا ..

- ألم تلمح أحدًا من أولئك الرجال المشوهين ؟

- ماذا تعنى بالرجال المشوهين ؟

- أشخاص يبدون كالمسوخ .. تمتلئ أجسادهم بآثار حروق وبثور سوداء .. على نحو يضفى عليهم مظهرًا مخيفًا .

- كلا .. لم أرَ شيئًا من هذا مطلقًا .

تأمله (ممدوح) قائلاً :

- ولكن كما أرى فإنه لا يثير دهشتك .

- إن أرض (الهوروس) مليئة بالأسرار والغرائب ..

- لكن كيف تسنى لك أن تذهب إلى هناك ، دون أن تلحظ ذلك ؟

- لأننى ببساطة لم أره .. أتظن أن (بابلو) قد تعرض لمكروه على أيدى هؤلاء المشوهين الذين تتحدث عنهم ؟

- هذا احتمال قائم .. فقد قتلوا اثنين من رجال المخابرات السلفادورية .. وأوقعوا باثنين آخرين .. كما أننى تعرضت لمطاردتهم داخل السراديب .. وكادوا أن يفتكوا بى ..

ـ إذن فقد تدخلت لإنقاذك فى الوقت المناسب .. والآن سأتركك لتتناول طعامك .. ثم نعاود الحديث فيما بعد .

ـ وماذا بشأن (بابلو) ؟

ـ سأبذل محاولة أخيرة للبحث عنه هناك بوساطة طائرتى .. ولو أنى أعتقد أن الأمل قد أصبح ضعيفًا بعد ما رويته لى عن أولئك المسوخ المتوحشين .

وانصرف (شيكو) فى حين أخذ (ممدوح) يستعرض ما دار بينهما من حديث ، وقد بدا فى حيرة من أمر هذا الرجل ..

وفى الليل غادر (ممدوح) غرفته بهدوء وهو يلقى نظرة سريعة على الردهة الخارجية ..

سار على أطراف أصابعه فى أرجاء القصر .. وقد لمح ضوءًا ضعيفًا ينبعث من عقب باب إحدى الغرف المغلقة .. فحاول الاقتراب منها .. لكنه تراجع سريعًا عندما رأى أحد الأشخاص وهو يجتاز الممر الفاصل بين المكان الواقف فيه وبين الغرفة ..

وما إن ابتعد الشخص حتى اقترب (ممدوح) من الغرفة ، وأخذ يصنت إلى ما يدور بداخلها وهو يلصق أذنه بالباب ..

وسمع صوت (شيكو) وهو يتحدث إلى أحد الأشخاص قائلا :

ـ كلا .. دعهم لا يقتلون الفتى الآن .. فأنا ما زلت بحاجة لمعرفة بعض الأسرار بشأنه ، هو وذلك الرجل الآخر ..

وسأله الشخص الذى كان يحادثه قائلا :

ـ وماذا بشأن رجلى المخابرات العسكرية ؟

أجابه (شيكو) قائلا وفى صوته نبرة ضيق :

ـ هنا تكمن المشكلة الحقيقية .. فاختفاء هذين الرجلين سيثير العديد من المتاعب .. وسيجعل الجيش السلفادورى يقلب المكان رأسًا على عقب .

قال محدثه :

ـ ربما لو دفعت المزيد من الرشاوى لبعض القادة ..

قاطعه (شيكو) قائلاً :

ـ كلا .. المزيد من الرشاوى لن يفلح هذه المرة ، بدون وجود مبرر واضح ، يفسر اختفاء رجال المخابرات العسكرية .. خاصة بعد ما فعلناه بالعاملين فى قاعدة التجارب السرية ..

وصمت برهة قبل أن يقول :

ـ ليس أمامنا سوى أن ننسب الأمر إلى احتراق

الطائرة التى أقلتهم بمن فيها .

وهذا يعنى أن تتخلصوا من الشخصين الآخرين بقتلهم حرقًا .. ثم وضعهم مع الآخرين داخل الطائرة التى تم تفجيرها ..

إن الأمر على هذا النحو سيبدو وكأنه حادث تعرضت له الطائرة ، ولن يلفت الأنظار إلينا .. كما أننى من ناحيتى سأقوم بدفع بعض المال ، لعدم التوسع فى إجراء التحريات بهذا الشأن .

وبينما كان (ممدوح) يرهف السمع لهذا الحديث .. إذا به يسمع صوتًا يأتيه من خلفه قائلاً :

ــ ماذا تفعل هنا ؟

استدار (ممدوح) ليرى أمامه شخصين يصوبان إليه سلاحيهما ..

قال (ممدوح) :

ــ لقد كنت فى طريقى للتحدث مع سنيور (شيكو) .. لكن يبدو أنه مشغول بالداخل .

وطرق أحدهما الباب قبل أن يفتحه .. فى حين دفعه الآخر إلى الداخل ، وهما مستمران فى تصويب سلاحيهما إليه .. حيث كان (شيكو) جالسًا أمام مكتبه .. بينما وقف محدثه على مقربة منه .

وارتسمت الدهشة على وجه (شيكو) ، عندما رأى الرجلين وهما يدفعان بـ (ممدوح) إلى داخل الحجرة .. فهتف قائلاً :

ــ ما هذا ؟

أجابه أحد الرجلين قائلاً :

ــ لقد وجدناه يتلصص عليك يا سنيور .

صمت (شيكو) برهة ، وهو يحدج (ممدوح) بنظرة حادة .. ثم قال للرجلين :

ــ حسن .. انتظرا أنتما بالخارج .

وتراجع فى مقعده قائلاً :

ــ يؤسفنى أن تتصرف على هذا النحو غير اللائق يا سنيور (كارلوس) خاصة بعد أن أنقذت حياتك من الموت .

ــ لقد أنقذت حياتى لأنك كنت بحاجة إلى معرفة المزيد من الأسرار التى تختفى ورائى .. وما إذا كانت ستشكل خطرًا عليك أم لا .. خاصة بعد أن علمت بالتدابير التى تتخذها .. لإخفاء صلتك الغامضة بتلك البقعة من الأرض ، التى يخشى الجميع ما تجلبه من لعنات ..

وأغلب الظن أنك كنت ستتخلص منى .. وتتخلص

من (بابلو) أيضًا بعد أن تتوافر لك المعلومات الكافية بشأننا ..

ابتسم (شيكو) قائلاً :

ـ إننى أقدر ذكاءك يا عزيزى .

ـ لم يكن الأمر يحتاج إلى الكثير من الذكاء .. فقد ارتبت فيك منذ أن أخبرتنى بأنك استطلعت المنطقة المسماه بأرض (الهوروس) ، بطائرتك الخاصة ، منذ ثلاثة أسابيع .

ولو كان ذلك حقيقيًا .. فلابد أنك قد اكتشفت تلك القاعدة السرية ، التى أقامها السلفادوريين بالتعاون مع الأسترتانيين ، لاختراع صاروخهم السرى ، بدلاً من أن تبدى عدم معرفتك بهذا الأمر .. هذا على فرض أنهم سيسمحون لطائرتك بالتحليق فى هذا المكان ، مع كل الإجراءات الصارمة لحماية تجاربهم السرية .. وهو الأمر الذى يحول حتمًا دون السماح لطائرة مروحية من طراز طائرتك ، بالتحليق فى هذا المكان ، الذى بدأ العمل فيه منذ ستة شهور ..

إذن فأمر ذهابك بالطائرة إلى هناك لم يكن حقيقيًا .

كما أن عدم دهشتك بشأن أولئك الرجال ، الذين يبدون على هيئة مسوخ فى تلك المنطقة .. وادعاءك

بأنك لم تر أحدًا منهم فى ذلك المكان .. أثار دهشتى بدورى .. وقد زاد هذا من ارتيابى فيك .

ـ مادمنا بصدد كشف الأوراق .. إذن يتعين عليك أن تخبرنى أنت أيضًا بحقيقة شخصيتك ..

أنت تعلم أن لى نفوذًا فى السلفادور وفى عدة دول أخرى من أمريكا اللاتينية .. وقد علمت بالطبع أن ادعاءك بأنك عالم آثار ، وبأنك أسبانى الجنسية ليس سوى أكذوبة ..

كما أننى علمت أيضًا بأن هناك أشخاصًا فى العاصمة السلفادورية يهتمون بأمرك ويعملون على الاتصال بك .

وهذا ما جعلنى بالفعل أهتم بأمرك ، وأسعى للبحث عن حقيقتك ، وحقيقة أولئك الذين يقفون خلفك ..

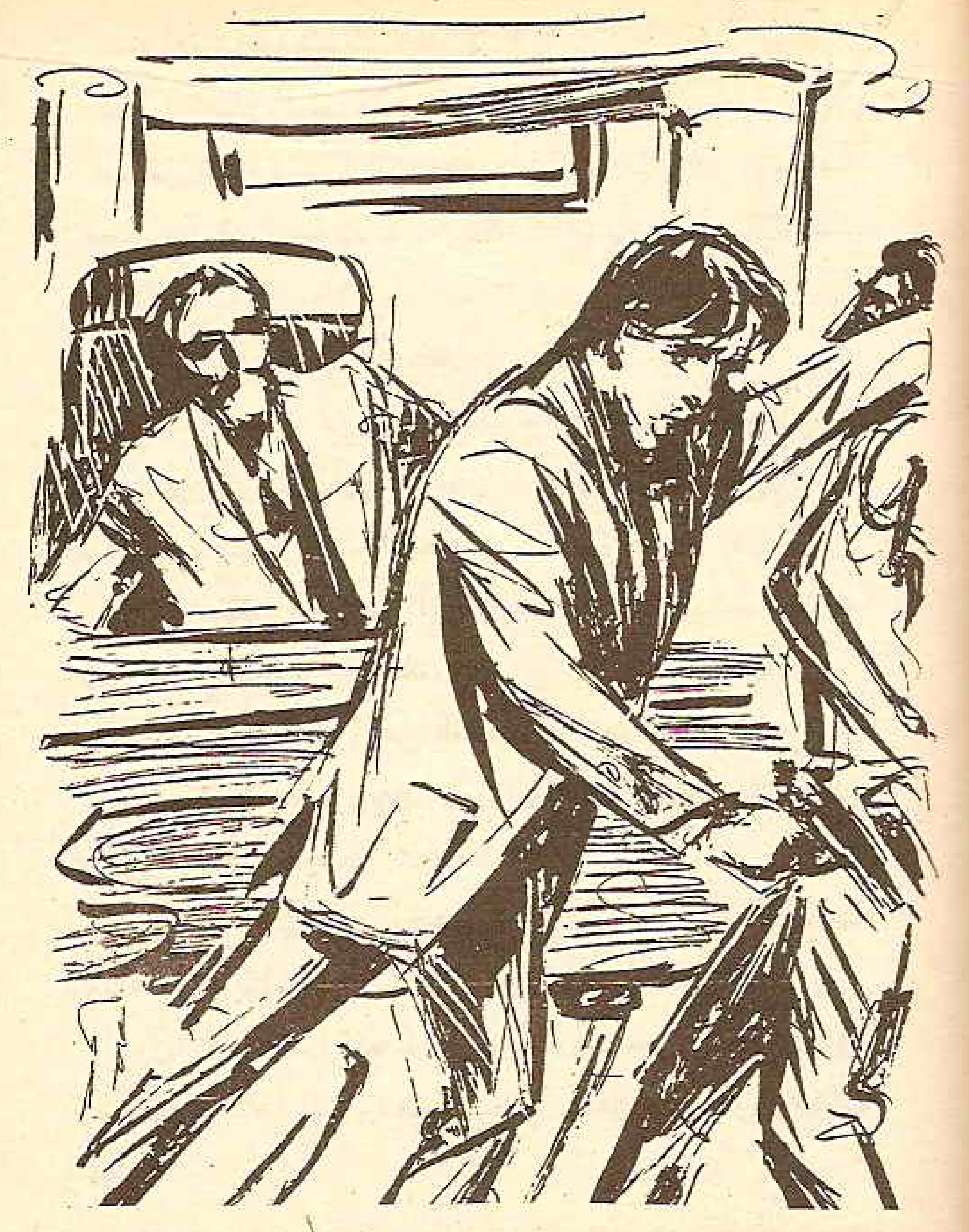
وما هى المعلومات التى لديكم بشأن أرض (الهوروس) ؟

ابتسم (ممدوح) قائلاً :

ـ لك أن تخمن يا سنيور .

ـ إن لدىّ وسائل لا أحب أن استخدمها معك ، للوصول إلى الحقيقة يا صديقى .

ـ ما دمنا نتحدث عن كشف الأوراق .. لم لا تطلعنى على أوراقك الخفية أولاً ؟.. وحقيقة صلتك بذلك المكان ؟



ثم نزع المسدس من الجراب الملتف حول إبطه بيده الأخرى ..

دق (شيكو) بيده على مكتبه فى عنف قائلاً :

ـ إنك هنا فى قصرى وتحت سيطرتى .. وأنا هنا الذى أطرح الأسئلة .. وعليك أن تجيب عنها ..

وكان (ممدوح) فى أثناء ذلك الحديث ، قد لمح المسدس المعلق داخل جراب يلتف حول إبط الشخص الذى كان يحادث (شيكو) .. والذى كان قد وضع يديه حول خصره ، على نحو يكشف عن ذلك المسدس المختفى تحت سترته .

وأحس أن فرصته الوحيدة تكمن فى الاستيلاء على هذا المسدس .

وفى حركة مفاجئة انقض (ممدوح) على الرجل الذى يجاوره ليشل حركته ، وهو يلوى يده خلف ظهره .

ثم نزع المسدس من الجراب الملتف حول إبطه بيده الأخرى .. ودفع به فوق المكتب ، فى اللحظة التى كان فيها (شيكو) يهم بتناول مسدسه من أحد أدراجه .. فاصطدم به فى قوة .. حالت دون أن يتمكن (شيكو) من تناول المسدس .

وسارع (ممدوح) بأخذ المسدس الآخر من الدرج ، وهو يتراجع خطوتين إلى الوراء ، شاهرًا مسدسه فى مواجهتهما قائلاً :

ـ والآن أصبحت السيطرة لى .

قال (شيكو) فى ثقة :

ـ هل تظن ذلك ؟ إنك واهم يا عزيزى .. أعد هذا المسدس إلى مكانه ، ودعك من هذه الألعاب الصبيانية .

قال له (ممدوح) فى حزم :

ـ ضع يديك فوق المكتب يا سنيور (شيكو) .. ويجب أن تعرف أننى لا أهزل .. ولن أتردد فى إطلاق الرصاص مهما كانت المخاطر .

ظل (شيكو) مترددًا لبرهة من الوقت .. ثم نفذ ما طلبه منه (ممدوح) .

تحدث (ممدوح) إلى الشخص الآخر قائلاً :

ـ وأنت .. ضع وجهك فى الحائط وارفع يديك عاليًا فى مواجهتى ..

ونظر الرجل إلى (ممدوح) فى حنق .. لكنه لم يملك سوى إطاعة وتنفيذ ما أمره به ..

ـ والآن دعنا نتحدث حديثًا صريحًا يا سنيور (شيكو) .. ما الذى حدث لـ (بابلو) ؟ وأين مكانه الآن ؟

وما هو مصير أحد الأشخاص المصريين الذين جاءوا

إلى هذه المنطقة ؟ إنك تعرف الكثير من الأسرار ويتعين عليك ألا تخفيها .

ابتسم (شيكو) قائلاً :

ـ تقصد المقدم (عادل) ؟.. بذلك أكون قد عرفتك .. فقد جاء ذلك الرجل متنكرًا أيضًا فى هيئة سائح لبنانى .. ولابد أن كليكما جاء إلى هذا المكان بتكليف من إحدى الجهات الاستخبارية ..

ـ إننى أسألك ما هو مصير كل من الشخصين .. وأريد منك إجابة محددة ..

نظر (شيكو) وراء ظهر (ممدوح) قائلاً :

ـ لقد قلت لك من قبل يا عزيزى .. إننى أنا الذى أطرح الأسئلة ..

ولمح (ممدوح) تلك النظرة فى عينى (شيكو) .. لكنه لم يدرك معناها إلا عندما وجد فوهة مدفع آلى تلتصق بظهره ، وصوتًا آمرًا يقول له :

ـ ألق بذلك المسدس على الأرض .. وإلا مزقت أحشاءك !!

كان هناك ثلاثة أشخاص قد تمكنوا من اقتحام الغرفة شاهرين أسلحتهم ، عدا ذلك الذى ألصق فوهة مدفعه بظهر (ممدوح) بعد أن تمكن من التسلل إلى الحجرة

خفية من أحد أبوابها الجانبية .

وانصاع (ممدوح) للأمر الصادر إليه ، ملقيًا بمسدسه على الأرض ..

وفى تلك اللحظة أومأ (شيكو) بعينيه إلى الرجل الذى يقف خلف (ممدوح) ، فانهال على مؤخرة رأسه بضربة قوية من مدفعه الآلى .

انهار (ممدوح) على إثرها فاقد الوعى .

وأمر (شيكو) الآخرين بحمله خارج الغرفة .

فامتثلوا لأوامره فى الحال .

* * *



١١- جحيم الشيطان ..

استرد (ممدوح) وعيه ليجد نفسه موثقًا بالحبال من يديه وقدميه ، فوق أسطوانة معدنية تشبه المحرقة .. داخل مكان شبه مظلم ..

وألقى (ممدوح) نظرة جانبية فوجد (بابلو) موثقًا فوق أسطوانة معدنية أخرى ، وقد طرح على ظهره مثله فوقها ..

هتف (ممدوح) قائلًا :

- (بابلو) !

قال له (بابلو) فى إعياء :

- سينور (ممدوح) .. حمدًا لله أنك بخير ..

- ما ذا حدث لك ؟

- لقد اختطفنى أحد هؤلاء المتوحشين داخل الكهف .. فى أثناء تحريكك للقناع .

- يبدو أنك قد تعرضت للتعذيب ، فآثاره واضحة على وجهك ..

- كانوا يريدون أن يعرفوا الحقيقة بشأنك .. لكننى لم أخبرهم بشىء .

أتى صوت من خلفهما قائلًا :

ــ لقد أصبحت الحقيقة معروفة الآن .

وتحرك شخص يرتدى الملابس الهندية القديمة . من خلف الأسطوانتين المعدنيتين ليقف فى مواجهتهما .

وأضىء المكان بالمشاعل ، ليرى (ممدوح) أن هذا الشخص هو نفسه (شيكو) .. وقد زينت الأصباغ وجهه ..

ومن ورائه كان هناك أكثر من عشرة أشخاص يرتدون الثياب الهندية ، وتزين وجوههم الأصباغ أيضًا ، وهم يحملون المشاعل .

وهتف (ممدوح) فى سخرية :

ــ ياله من مشهد مثير ، يذكرنا ببعض المشاهد السينمائية القديمة !

قال (شيكو) وعلى وجهه ابتسامة صفراء ..

ــ لقد قلت لك من قبل إننى معجب بذكائك الحاد .. كما أننى معجب أيضًا بروح الدعابة التى مازلت محافظًا عليها .. برغم خطورة موقفك .. ويؤسفنى أن أضطر للتخلص من شخص أكنّ له كل هذا الإعجاب ..

نظر (ممدوح) إلى أولئك الأشخاص الذين يرتدون الثياب الهندية خلف (شيكو) قائلًا :

هل هم من أحفاد (الهوروس) أيضًا ؟

ــ نعم .. لقد استوطنوا هذا المكان كما فعل أجدادهم منذ آلاف السنين ، وقطعوا صلتهم تمامًا عن العالم ..

كانوا سعيدين دائمًا بعزلتهم ، ولم يرغبوا فى أن يقتحم الغرباء عالمهم ..

لذا كانوا يعمدون دائمًا إلى التخلص من كل غريب يحاول أن ينفذ إلى أرضهم .. دون أن يعلنوا عن وجودهم ..

فالكهوف والسراديب كانت هى ملاذهم ، للتخفى عن الآخرين والحياة داخل عالمهم الخاص بهم ..

والموت كان هو المصير الذى ينتظر من يعرف بحقيقة أمرهم .. فلم يكن يسمح له بالعودة من حيث جاء أبدًا .

ــ ومن هنا أطلقوا على هذه المنطقة اسم (الأرض الملعونة) ..

ــ نعم .. فقد ظل الموت يترصد كل من يأتى إلى هذه الأرض ، ويعلم بحقيقة وجود هؤلاء الهنود الذين ينتمون إلى (الهوروس) ..

ــ ولماذا لم يلحق بك هذا المصير برغم وجودك فى هذا المكان ؟

لا تقل لى .. لأنك تنتسب إلى هنود (الهوروس) أيضًا .. فلا أظن أنك وجدت وسيلة للتخاطب مع هؤلاء البدائيين ، لتخبرهم بهذه الحقيقة ، وتقنعهم بأنك بمظهرك العصرى هذا تنتمى إلى نفس سلالتهم .

ــ ولكن هذه هى الحقيقة يا سنيور (ممدوح) .. إننى أجيد التخاطب بلغتهم كما أننى بالفعل أنتمى لنفس سلالتهم ..

وهناك شىء آخر .. انظر إلى هذه الأيقونة المدلاة على صدرى . إن المخطوطات القديمة وتراث هؤلاء الهنود ، يشير إلى أن من يمتلك هذه الأيقونة ، ينتمى إلى سلالة الزعماء الذين يحكمون قبائل (الهوروس) ولما كان أحد جدودى يمتلك هذه الأيقونة بالفعل ، وسبق له استخدامها لإعلان زعامته (للهوروس) .. فقد استخدمتها بدورى .. لإخضاع هؤلاء الهنود .. وأصبحت بفضلها زعيمًا لهم ، وعليهم أن يخضعوا لى خضوعًا تامًّا .. ويمتثلوا لكل ما أصدره لهم من أوامر .. حتى لو طلبت منهم أن يضحوا بحياتهم من أجلى .

وبذلك أصبحت آتى إلى هنا ، وأذهب كيفما أشاء ، وبالوسيلة التى أختارها .. كما أن أعوانى لا يمكن أن

يمسهم هؤلاء الهنود بالضرر ..

ــ إذن فلك أعوان آخرون فى هذا المكان !.

ــ بقدر ما أحتاج ..

ــ وماذا عن هؤلاء الآخرين المشوهين جسديًّا ؟

ــ لم يعد لدى وقت للشرح يا سنيور (ممدوح) .

ــ ألا تشرح لى على الأقل مصيرى ومصير (بابلو) ؟.

ــ بلى .. أعتقد أن من حقك أن تعرف ذلك ..

إن هؤلاء الهنود البسطاء ، يعتقدون أنه يتعين من آن لآخر تقديم بعض الضحايا قرابين للآلهة .

وهم يحتفظون هنا بعدد من هؤلاء الضحايا سجناء فى بعض الأقبية ، ليقدموا كل شهر اثنين منهم قربانًا لآلهتهم .

والأمر يتم ببساطة ، يصلب اثنان من هؤلاء الضحايا فوق هاتين المحرقتين، ثم يشعلون النيران أسفل المحرقة التى توجد بها فتحة مجوفة أسفل ظهريكما تمامًا ..

وبإلقاء بعض المواد الكيميائية التى يعرفها الهنود هنا داخل الحفرة المشتعلة .. تتصاعد ألسنة النيران .. لتنفذ من خلال الفتحة المجوفة الموجودة فى المحرقة ،

وتبدأ فى شىَ الضحايا تدريجيًا حتى يتفحموا تمامًا .

وكان الخيار قد وقع على صديقك (عادل) وآخر ممن أسرهم الهنود داخل قاعدة التجارب السرية .

لكنى أقنعتهم بفضل زعامتى أن يبدءوا بكما هذا الشهر ، وأن يرجئوا الضحيتين الأخريين للشهر القادم .. فالتخلص منكما أصبحت له الأولوية الأولى لدىَ ..

وعقد ذراعيه أمام صدره ، وهو يلتف بعباءة حمراء تتدلى حول ظهره ، قائلًا وهو يبتسم ابتسامة الصفراء :

ــ والآن وداعًا .. وأرجو أن تتقبل الآلهة حرقكما برضًا . وأدار ظهره منصرفًا .. فى حين تقدم الهنود ليلقوا ببعض المشاعل داخل الحفرتين اللتين تقعان أسفل المحرقتين تمامًا ..

وبدأ الدخان اللافح الحار يتصاعد من خلال الفتحة المجوفة ليلفح ظهر (ممدوح) و(بابلو) ..

صاح (بابلو) وصوته ينطق بالرعب :

ــ هل سينتهى بنا الأمر بالموت حرقًا ؟!

قال (ممدوح) محاولًا التغلب على قسوة الموقف بروح الدعابة :

ــ إننى أكره أن أشوى بهذه الطريقة .. أصارحك بهذا ..

وألقى اثنان من الهنود ببعض المواد الكيمائية داخل الحفرتين ، فتصاعدت ألسنة النيران داخل الحفرة ، لتلامس الفتحة المجوفة فى الأسطوانة المعدنية ..

بينما تراجع الهنود إلى الوراء .. وقد عقدوا أذرعهم أمام صدورهم وهم منحنون .. كما لو كانوا يعلنون عن ولائهم لآلهتهم .. وقد أخذوا يرددون بعض الكلمات غير المفهومة .. حتى غادروا المكان .. تاركين النيران تضطرم داخل الحفرة المشتعلة ..

ومن آن لآخر .. كانت النيران تفور داخل الحفرة ، لتتصاعد ألسنتها نحو فتحة المحرقة ..

وأحس (ممدوح) بألسنة اللهب تكاد تلامس ظهره .. مما اضطره إلى أن يقوسه محاولًا تفادى النيران الملتهبة .

كان العرق أخذ يتصبب منه بغزارة من لفحات النار .. وحتى لو نجا من ألسنة اللهب .. فإن المحرقة المعدنية بدأت تسخن بفضل ملامسة النيران لها .. وبعد قليل فلا بد أنها ستشوى جسده بعد أن تتحول إلى كتلة من المعدن الساخن ..

صاح (بابلو) : .

ــ إن النيران توشك أن تمسك بجسدى .. ولم أعد أقوى على تحمل سخونة المحرقة .. إننى فى طريقى

إلى الموت ..

صاح (ممدوح) :

ـ حاول أن تقوس ظهرك ؛ لتبعده عن فتحة المحرقة .

قال (بابلو) بيأس :

ـ لا جدوى من ذلك .. إننا لن نفلت من هذه الميتة البشعة ..

ـ لا تستسلم لليأس .. وافعل كما قلت لك .. فقد نجد مخرجًا .

ونظر (ممدوح) إلى أعلى ، فوجد المحرقة معلقة بوساطة أربع سلاسل معدنية ، تتدلى من سقف حجرى .

فأخذ يهزّ المحرقة بكل ما أوتى من قوة بجسده .. برغم قيوده ..

وصاح فى (بابلو) لكى يفعل مثله .

وما لبث أن تمكن من أرجحة المحرقة أمامًا وخلفًا اعتمادًا على تلك السلاسل التى تتعلق بها ..

تحولت المحرقة إلى أرجوحة .. أخذت تهتز أمامًا وخلفًا .. فى حين عجز (بابلو) عن أرجحتها بقوة تماثل أرجحة (ممدوح) لمحرقته .

كان (ممدوح) يمتلك العزيمة والإصرار .. فأخذ يهز

جسده بأقصى ما لديه من قوة .. حتى تمكن من دفع الأرجوحة نحو الكتل الصخرية المدببة المحيطة بها .

وعمد إلى دفع قدميه إلى أعلى .. لترتفع به المحرقة قليلًا فى الهواء .. وهو ينظر إلى كتلة من الصخر ذات حافة مدببة .. وعادت به المحرقة إلى الوراء .

ثم عاد ليدفعها مرة أخرى ، وهو يدفع بقدميه المقيدتين إلى أعلى مرة أخرى .. ليعلو بالمحرقة فوق الحافة المدببة ، جاعلاً فتحتها فوق الحافة تمامًا .

وفى هذه المرة لم تعد المحرقة إلى الوراء .. إذ تمكن (ممدوح) من أن يخفض قدميه فى اللحظة المناسبة ، ليجعل الحافة المدببة تنفذ من خلال الفتحة المجوفة فى المحرقة فتثبتها .

وبرغم الألم الشديد الذى أحسه من ملامسة الحافة المدببة لظهره مما أسفر عن إصابته بجراح مؤلمة .. إلا أنه كان سعيدًا بالنتيجة التى تمكن من تحقيقها ؛ لأن الجراح المؤلمة فى ظهره أهون بكثير من احتراقه حيًّا .

كان عليه أن يفكر فى الخطوة التالية بعد أن أصبح مثبتًا على هذا الوضع لكن كان يتعين عليه قبل ذلك ، أن يجد الوسيلة لمساعدة (بابلو) .

هتف (ممدوح) قائلًا لـ (بابلو) :

ـ لقد أخبرتنى من قبل أنك كنت من لاعبى السيرك ..
إذن أثبت براعتك ، وحاول أن تقلدنى فى أرجحة المحرقة. فلتحولها إلى أرجوحة ، حتى تبتعد عن مصدر النيران .

صاح (بابلو) :

ـ هل سأظل أتأرجح إلى ما لا نهاية ؟

ـ افعل ذلك الآن .. وأعطنى وقتًا للتفكير .

ونفذ (بابلو) ما طلبه منه (ممدوح) .. فأخذ يدفع بجسده المقيد أمامًا وخلفًا مؤرجحًا المحرقة على النحو الذى فعله (ممدوح) من قبل .

هتف (ممدوح) مشجعًا :

ـ حسن . إنك تقوم بذلك على خير وجه ..

ولم تكن لدى (ممدوح) فكرة محددة عن التخلص من قيوده ومواجهة هذا الموقف العصيب .. لكن كان يتعين عليه أن يعثر على هذه الفكرة بأسرع وقت .

وتذكر (ممدوح) أن لديه سلاحًا خاصًا زودته به الإدارة الفنية التابعة للمكتب (١٩) يفيد فى مثل هذه الحالات ..

لكن كيف يتسنى له استخدامه وهو مقيد على هذا النحو ؟

فهو برغم أنه لا يدخن ، إلا أنه يحتفظ فى جيبه العلوى بعلبة سجائر تحتوى على سيجارة واحدة ، ذات

أهمية قصوى له فى هذا الموقف العصيب ..

لكن المشكلة تكمن فى كيفية وصوله إلى علبة السجائر ..

كان عليه أن يبذل جهدًا جبارًا فى سبيل ذلك .. برغم أن النجاح بدا مستحيلًا .

لكنه تعلم أن يتعامل مع المستحيل وألا يعترف به ..

دفع (ممدوح) برأسه أمام صدره بكل ما أوتى من قوة محاولًا التغلب على الآلام الشديدة التى أحسها فى معصميه وهو يشد عضلاته على هذا النحو ، محاولًا الوصول إلى علبة السجائر فى جيب سترته العلوى .

لكن أسنانه لامست بصعوبة حافة جيبه دون أن تصل إلى علبة السجائر بداخله .

وتصبب العرق منه غزيرًا ، وقد أحس بآلام شديدة فى عموده الفقرى ، وهو يلوى عنقه على هذا النحو .
لكن المحاولة فشلت .. وعاد ليلقى برأسه فوق المحرقة بيأس .. بينما تعالى هتاف (بابلو) يقول :

ـ لم أعد أقوى على الأرجحة أكثر من ذلك .. والمحرقة تزداد سخونة .

عاد (ممدوح) ليلوى عنقه أمام صدره مرة أخرى ، وقد ازدادت آلامه .. كما ازداد الضغط على السلسلة الفقرية فى ظهره ، محاولًا التغلب على المستحيل ..

* * *

١٢ - قطار النجاة ..

تمكن (ممدوح) من أن يطبق على حافة جيبه بأسنانه بعد جهد شاق ..

ثم جذبه إلى أعلى حتى أصبح قريبًا من فمه وقد تدلى جزء من علبة السجائر خارج الجيب .

وما لبث أن تمكن من الإطباق على الجزء العلوى من علبة السجائر بأسنانه أيضًا حتى جذبها من داخله .. لتصبح أسفل ذقنه تمامًا .

وبوساطة أسنانه التى أصبح اعتماده الوحيد عليها، فتح غطاء العلبة كاشفًا عن السجائر المتراصة بداخلها ..

ومن بينها اختار تلك التى تميزها نقطة بنية اللون ليتناولها بين أسنانه .

وأدار صدغه نحو ذراعه اليمنى .. وقد ازداد العرق تصببًا من جبينه ..فلو أخطأ خطأً بسيطًا ، فإن هذا يعنى النهاية له ولـ(بابلو).

كان عليه أن يحافظ على ثبات أعصابه .. وأن يحاول بقدر الإمكان أن يكون دقيقًا فى أدائه لعمله ..

بقى محتفظًا بفلتر السيجارة وهو يحركها بين أسنانه ببطء مصوبًا مقدمتها نحو يده اليمنى الموثقة بالحبال .

أصبحت آماله معلقة بإصابة الهدف إصابة محكمة ..

وضغط (ممدوح) على الفلتر بقوة بين أسنانه .. فانفصل الفلتر عن السيجارة الزائفة وبقى بين أسنانه . فى حين انطلق جسم السيجارة ليستقر فوق يده الموثقة بالحبال .

وتحولت السيجارة الزائفة إلى شرارة من اللهب ، لامست رسغه ، لكنها كذلك أحرقت الحبال التى تقيد الرسغ ..

وصرخ (ممدوح) من الآلم لملامسة الشرارة الملتهبة لرسغه .. لكن تلك الشرارة ذاتها كانت السبب فى حرق الحبال التى تلتف حول معصمه ، وتحرير يده اليمنى من القيود ..

وأطاح (ممدوح) بالجمرة الملتهبة من فوق يده سريعًا .. ثم استخدم يده اليمنى فى تحرير يده اليسرى وقدميه من بقية القيود . ونظر (ممدوح) فى اتجاه (بابلو) ، فوجده قد توقف عن أرجحة المحرقة التى تحمله بعد أن أرهقه الجهد الشاق الذى بذله ولم يعد قادرًا على بذل المزيد من الجهد ..

وفى الحال حرر (ممدوح) المحرقة من الحافة الصخرية المدببة التى استقرت فى فتحتها المفرغة .

ثم وقف فوق المحرقة وقد أمسك بالسلاسل المعدنية المدلاة من السقف الحجرى والمعلقة بها ، وعاد ليؤرجحها بقوة فى الاتجاه المضاد .

وعندما أصبحت المحرقة ـ التى حولها إلى أرجوحة ـ موازية لمحرقة (بابلو) وثب من فوقها ليقفز فوق محرقة (بابلو) التى وجدها ساخنة للغاية . من أثر تصاعد ألسنة اللهب أسفلها ، برغم أن اللهب بدأ يخمد قليلًا .

وعمد (ممدوح) إلى أرجحة المحرقة المقيد إليها (بابلو) ليبعدها عن مصدر النيران .

وفى أثناء ذلك كان يتولى تحريره من قيوده .

ظلت المحرقة تتأرجح بقوة بينما (ممدوح) منهمك فى حل قيود (بابلو) ، عندما دخل أحد هؤلاء الرجال المشوهين إلى الكهف .. وما إن أطل بعينيه إلى أعلى حتى تبين حقيقة ما يحدث .

كان (ممدوح) قد تمكن من تحرير يدى (بابلو) عندما لمح ذلك الرجل المسخ وهو يتطلع إليهما .

وأدرك أنه سيلفت انتباه الآخرين .. فكان عليه أن



ثم وقف فوق المحرقة وقد أمسك بالسلاسل المعدنية المدلاة من السقف الحجرى والمعلقة بها ..

يمنعه من ذلك بأسرع ما يمكنه .

تخلى (ممدوح) عن الاستمرار فى حل قيد (بابلو) .. ووثب من فوق المحرقة منقضًا على الرجل المشوه .. مطيحًا به أرضًا .

وبرغم مباغتة (ممدوح) للرجل .. إلا أنه استطاع أن يدفعه من فوقه ملقيًا به على ظهره ..

ثم نهض سريعًا وهو يتناول حربته لينقض بها على (ممدوح) . لكن الأخير تفادى السنّ المدبب الموجه إليه ، وأطبق على جسم الحربة بكلتا يديه لينتزعها من غريمه .

وصوبها (ممدوح) نحوه .. لكنه تفاداها .. وهو ينقض على (ممدوح) كالوحش الكاسر ، ناشبًا أصابعه فى عنقه محاولًا خنقه ..وفى أثناء ذلك كان (بابلو) يحرر قدميه من بقية القيود ، بينما (ممدوح) منشغل فى معركته مع الرجل المشوه ..

أحس (ممدوح) بألم شديد من جراء إنشاب غريمه لأظافره الطويلة المدببة في عنقه .

لكنه قاوم غريمه بإدخال ساعديه ما بين ساعدى الرجل ، ثم دفعهما فى الاتجاه المضاد بكل مالديه من قوة ..مقاومًا زيادة الضغط على عنقه .

وتمكن (ممدوح) من إبعاد ساعدى الرجل وأظفاره المدببة عن عنقه ، ليبادره بلكمة قوية جعلته يتراجع إلى الوراء وأراد الرجل أن يبادله اللكم .. لكن (ممدوح) تفادى اللكمة المصوبة إليه بانحناءة سريعة ، مسددًا إليه لكمة أخرى أعقبها ببضع لكمات ، جعلت الرجل يتأرجح وهو يتراجع إلى الوراء . وجاءت اللكمة الحاسمة لتطرح الرجل أرضًا فوق الحفرة النارية أسفل المحرقة .

وصرخ الرجل عندما أمسكت النيران به ، فى اللحظة التى وثب فيها (بابلو) من فوق المحرقة إلى الأرض .

نظر كلاهما إلى الرجل فى دهشة ، وهو يقفز مذعورًا من داخل حفرة النيران ، ليلقى بنفسه على الأرض محاولًا إطفاء النيران التى أمسكت بجسده .

فقد كانت البثور السوداء التى تشوه جسده تختفى وتذوب لتكشف عن جسد طبيعى غير مشوه .

هتف (ممدوح) قائلًا :

- لم تكن هذه بثورًا حقيقية .. إنها طبقة جلدية زائفة تغطى وجهه وجسده الحقيقى .

لقد تعمد (شيكو) أن يضفى هذا المظهر البشع على بعض الهنود هنا ، ليؤكد خرافة اللعنات .. ويخيف كل

من تسول له نفسه التسلل إلى هذا المكان .

قال (بابلو) :

ـ نعم .. لقد تعمد استخدام هؤلاء الرجال ، ليلقى بالرعب فى قلوب الأشخاص الذين يفكرون فى المجىء إلى أرض (الهورروس) .. ياله من مخادع !! ولكن لِمَ يفعل ذلك ؟

لماذا حاول أن يمنع الآخرين من الحضور إلى أرض (الهورروس) ؟

قال (ممدوح) وهو يساعد الرجل على التخلص من آثار النيران التى أمسكت بجسده :

ـ سنبحث عن إجابة لهذه الأسئلة فيما بعد .. إن ما يهمنا الآن هو البحث عن صديقى وأخيك .. وبقية الضحايا الذين يحتفظ بهم (شيكو) هنا .

وسأل (ممدوح) الرجل الذى كان يتألم من أثر الحروق التى أصابته .

ـ أين تلك الأقبية التى تحتفظون فيها ببقية الضحايا الذين تريدون تقديمهم قرابين للآلهة ؟

لكن الرجل أخذ يتطلع إليه بعينين زائغتين دون أن يقول شيئا ..

قال له (بابلو) :

ـ إنه لن يفهمك فهو هندى .. ولا يفهم سوى لغة (الهورروس) المتوارثة .. ربما يمكننى أنا أن أسأله فى هذا الشأن .

سأله(ممدوح) :

ـ هل تعرف لغة (الهورروس) ؟

ـ كلا .. لكننى أنا الآخر أنتمى إلى جذور هندية قديمة لقبائل أخرى .. والقبائل الهندية كانت تتفاهم بعضها مع البعض أحيانًا بلغة الإشارات التى أجيد استخدامها .

وأخذ (بابلو) يشير إلى الرجل مستخدمًا يديه وذراعيه ، للتعبير عن السؤال الذى طرحه (ممدوح) .

وبادله الرجل الإشارة بيديه .. وقد بدا أنه تفهم السؤال ..

قال (بابلو) لـ(ممدوح) :

ـ يقول إنه لا يعرف .

ـ أخبره أننا سنلقى به داخل الحفرة الملتهبة ، لو أصر على ادعائه بعدم المعرفة ..

وعبر له (بابلو) عن ذلك بوساطة الإشارات .. فبادله الرجل الإشارة وعاد (بابلو) ليقول لـ (ممدوح) :

ـ إنـه مصـر علـى أنـه لا يعـرف مكـان هـؤلاء الأشخاص .

أمسك (ممدوح) بقدمى الرجل وهـو يدعو (بـابلو) للإمساك بيديه قائلا :

ـ حسن . دعنا ننشط ذاكرته .

وأخذا يؤرجحان الرجل فى اتجاه الحفرة النارية وهما يتظاهران بأنهما سيلقيان به داخلها .

صرخ الرجل وقد تـولاه الذعر .. فأعاده (ممـدوح) إلى الأرض وهو يقول لـ(بابلو) :

ـ اطرح عليه السؤال مرة أخرى .

وفى هذه المرة أخبرهمـا الرجل بمكـان الأقبيـة التـى يحتفظون فيها بضحاياهم .

غادر (ممدوح) و(بابلو) الكهف متجهين نحو أحد السراديب ، حيث توجد الأقبيـة التـى يحتفـظ فيهـا هنـود (الهوروس) بضحاياهم ..

لكن (ممدوح) استوقف رفيقه قائلًا :

ـ انتظر .. أعتقد أننا قد سلكنا الطريق الخطأ .. علينا أن نعود أدراجنا ونتسلل إلى السرداب الآخر .

لكن قبل أن يغادرا السرداب ، انشق الجدار الصخـرى على مقـربة منهمـا .. فسـارع (ممـدوح) و(بـابلو)

بالاحتماء ببعض النتوءات الصخرية .. وبأعين مندهشة رأيا (شيكو) وهو ينفذ من خلال الجدار الصخـرى ومعه بعض الهنود .. وقد أخذ يتحدث إليهم بلغتهم .

ظل (ممدوح) ورفيقـه راقدين علـى الأرض ، وهمـا يرقبان حديث (شيكو) إلـى الهنـود ، وقـد بـدا وكأنـه يصدر إليهم بعض الأوامر .

وانصرف الجميع خارج السرداب فى حين عاد الجدار الصخرى للالتحام .. لكن قبل أن يغلق تمامًا من كـلا جانبيـه .. سـارع (ممـدوح) بالإمسـاك بـأحد الأحجـار المتوسطة الحجـم ، التـى عـثر عليهـا بجـواره علـى الأرض، ووضعها بين جانبى الجدار ليمنعه من الغلق .

ثم ألقى نظرة عبر فتحة الجدار وقد هاله ما رآه .

كـان هنـاك العديد مـن السبائك الذهبيـة التـى يقـوم الهنود بنقلها إلى عربات معدنية ذات عجلات ، ومتراصة فوق مايشبه قضبان السكك الحديدية .

جحظت عينا (بابلو) وهو يهتف قائلًا :

ـ ياله من مشهد !

ـ هناك أطنان من السبائك الذهبية داخل هذا المكان .

قال (بابلو) بصوت خافت وهو يبدو كالمسحور :

ـ إذن فهو حقيقى ..

نظر إليه (ممدوح) بدهشة قائلا :

ــ عم تتحدث ؟

ــ كنز (الهورروس) لقد كنت أسمع وأنا طفل صغير عن أن (الهورروس) القدامى كانوا يمتلكون كنزًا هائلا من السبائك الذهبية .. وأنهم أخفوه على نحو لا يمكن معه لأحد أن يعرف مكانه .. ولكن عندما كبرت ظننت أن هذا يدخل ضمن الأساطير التى تحاك عنهم .

وتحركت العربات المعدنية فوق القضبان بوساطة قاطرة صغيرة .. متخذة طريقها عبر منطقة صخرية حتى غابت عن عينى (ممدوح) .. الذى قال :

ــ مازال أمام هذه العربات رحلات كثيرة لتقطعها ، قبل أن تنتهى من نقل بقية السبائك الذهبية ..

ــ ولكن إلى أين تذهب هذه السبائك ؟

بدوره سأله (ممدوح) :

ــ ما هى الأرض المجاورة لتلك المنطقة ؟

ــ إن أرض (الهورروس) قريبة من الحدود ..

ــ إذن .. فتلك السبائك الذهبية ، يتم نقلها إلى مكان ما بالقرب أو داخل حدود الدولة المجاورة ..

هل تعنى أنهم يهربون كنز (الهورروس) إلى الخارج ؟

ــ ألم تفهم بعد ؟.. إن (شيكو) قد علم بأمر كنز

(الهورروس) من خلال المخطوطات القديمة التى كان يحتفظ بها أجداده .

ولم تكفه الثروة التى ورثها .. فأراد الاستيلاء على السبائك الذهبية التى أخفاها هنود (الهورروس) القدامى.. وقد استغل المعتقدات السائدة هنا حول لعنات (الهورروس) والخوف من الذهاب إلى أرضهم المهجورة .

كما استغل الأيقونة التى أورثه إياها أجداده ، ليقتحم أرض (الهورروس) ، وينصب نفسه زعيمًا عليهم ، تحت تأثير استيلائه على الأيقونة .

ثم استخدم أولئك الهنود الذين يعيشون فى سراديب وكهوف تحت الأرض مرعوبين من اقتحام الآخرين لأرضهم ، ومعرفة أمرهم ، ليساعدوه فى الكشف عن كنز (الهورروس) ..

وبعد أن عثر عليه بين السراديب والكهوف ، أحضر أعوانه إلى هنا لكى يساعدوه فى نقل السبائك الذهبية ، وفرض سطوته على الهنود ..

كما استخدم حيلة الرجال المشوهين لترويع كل من تسول له نفسه الحضور إلى أرض (الهورروس) .. واكتشاف حقيقة الدور الذى يقوم به هنا ، وتأكيد حقيقة الأرض الملعونة .

ونجحت هذه الحيلة بالفعل .. حتى أن رجال الشرطة وبعض المسئولين فى القرية ، كانوا يخشون الذهاب إلى هناك ، بل ويحذرون من جلب اللعنات على القرية ، لو سمح أهلها لأى غريب أن يتسلل من قريتهم إلى الأرض الملعونة ..

وأتاح بذلك لنفسه ولأعوانه الفرصة والوقت الكافيين لنقل المعدات والأدوات ، سواء بوساطة طائرته ، أو عن طريق حدود الدولة المجاورة ، التى لابد أن له نفوذًا كبيرًا بها ..ثم أقام ذلك الخط الحديدى الذى يمتد من المنجم إلى الحدود المجاورة ، واستغله فى نقل ذهب (الهوروس) على مراحل ، لكى يستقبله أعوانه الذين ينتظرونه بالقرب من الحدود وينقلوه إلى مكان ما تابع له .

لكن الشىء الذى أقلق مضجعه .. وجعله يخشى على نجاح خطته ، هو إقامة تلك القاعدة العسكرية السرية ، التى اشترك فيها الأسترتانيون والعلماء السفادوريون لإعداد ذلك الصاروخ .. وما يمكن أن يجلبه ذلك له من متاعب ويعوق عمله ..

ففضل التوقف قليلاً .. ثم استغل أعوانه وأولئك الهنود ذوى المظهر الوحشى المشوه ، فى مهاجمة

العاملين فى القاعدة بعد ذلك .. وقتل بعضهم ، وأسر البعض الآخر ؛ ليجعلهم القرابين التى يعتقد الهنود أن التضحية بهم ترضى الآلهة .. وعزز هذا نفوذه أكثر .. واعتمد فى ذلك على خرافة الأرض الملعونة ..

ـ وعندما جاء رجال المخابرات العسكرية لتحرى الأمر ، هاجمهم أيضًا .

ـ نعم.. واستبقى بعضهم ليكونوا قرابين للآلهة إرضاء للهنود ، كما فعل مع المقدم (عادل) وأخيك (ألفريدو) .

ـ ياله من شيطان !

ـ وهذا يذكرنى بأنه يتعين علينا أن نتحرك الآن ، لإنقاذ هؤلاء الأشخاص ، قبل أن يتحولوا إلى قرابين حقيقية .

وتسلل (ممدوح) و(بابلو) إلى السرداب الآخر ، حيث وجدوا الأقبية التى يحتفظ فيها (شيكو) بالأسرى ، وقد وقف على حراستهم أربعة من الهنود الأشداء .

نظر إلى (بابلو) قائلاً :

ـ هل أنت مستعد للعراك ؟

أجابه (بابلو) :

ـ مستعد تمامًا .

أطلق (ممدوح) صفيرًا قصيرًا استلفت انتباه أحد

الهنـود ، فحمـل حربتـه واتـجه إلى الجهة التى أتى منها الصفير ..

لكن (ممـدوح) استقبله بلكمـة قويـة مباغتــة ، جعلتـه يترنح إلى الوراء ، ثم أمسك بالحربة بكلتا يديـه ، وهو يلقـى بظهـره علـى الأرض دافعًـا بقدميـه فـى معـدة الهندى .

ورفعه عاليًا ليلقـى بـه مـن وراء ظهـره ، دون أن يتخلـى عن الحربـة التـى تمكن من أن ينزعها منــه ، ونهض (ممدوح) سريعًا ، فى الوقت الـذى تحرك فيه الهنـود الثلاثـة وقـد اجتذبهـم الصـراع الدائــر بيــن (ممدوح) والهندى .

فألقى (ممدوح) بالحربـة نحو أحدهم لتستقر فـى صدره وترديه قتيلاً ..

فى حين تعلق (بـابلو) بعمـود خشبى كـان يحمـل بعض جلود المـاعز ، ليقـابل أحدهم بركلـة قويــة فـى وجهه .. ثم قام بـدورة سريعة حـول العمـود الخشبى ، ممارسًا ألعابه البهلوانية ، ليتفادى السـهم الـذى صوبـه الهندى الثالث إليه ..

كان هذا فى اللحظة التىاندفع فيها (ممدوح) لينقض على الهنـدى قبـل أن يفـلح فى تصـويب سهم ثالث ،

دافعًا برأسه فى بطنه ، ليصدمه بالجدار الصخرى للسرداب .

وقبـل أن يفيـق الهنـدى مـن آلام أمعائــه .. عاجلـه (ممدوح) بلكمة قوية اسقطته أرضًا .

وكـان الهنـدى الـذى صارعـه (ممـدوح) فـى البدايـة قـد نهـض مـن الأرض ، وهـو يسـتل خنجـره تأهبًــا لمهاجمته من الخلف .

فصاح (بابلو) وهو يثب على الهندى الثالث :

ـ (ممدوح) احترس !

واستدار (ممـدوح) سريعًا ليتفـادى نصـل الخنجـر الحاد المسدد إلى ظهره . والذى أخذ الهنـدى يلوح بـه فى وجهه ..

وفى اللحظة التى انقض فيها عليه مرة أخـرى دافعًا بالخنجر إلى صدره ، تمكن (ممدوح) من تفادى الطعنة ببراعة ، وهو يقبض على معصم الهندى بقوة ، ويلويـه خلف ظهره ..

وأجبره (ممـدوح) علـى إسقاط الخنجر ، ثـم دفعـه بقدمـه فـى ظهره دفعـة قويـة .. جعلت رأسـه يصطـدم بالجدار الصخرى فيهوى أرضًا فاقد الوعى ..

وكـان (بـابلو) قـد نجـح فـى التغلـب علـى خصمـه بدوره ..

قام (ممدوح) و (بابلو) بفتح الأقبية وإخرج الأسرى منها ..

عثر (بابلو) على أخيه ، واستقبله بفرحة كبيرة مهللاً ، فى حين التقى (ممدوح) بزميله (عادل) الذى كان على حالة شديدة من الإعياء .. وغادر الجميع السرداب .. حيث قادهم (ممدوح) إلى السرداب الآخر .. ولكن ما إن تقدموا خلاله ، حتى تسمروا فى أماكنهم ..

فقد أضاءت المشاعل السرداب فجأة .. وظهر (شيكو) ومعه مجموعة من أعوانه المسلحين يعترضون طريقهم .

والتفت (ممدوح) خلفه ليرى مجموعة أخرى من الهنود يتدفقون عبر السرداب ..

قال (شيكو) لـ(ممدوح) :

ـ إنك بارع للغاية ، لأنك تمكنت من الإفلات أنت وذلك الفتى من المحرقة .. كما أنك كنت شديد الجرأة لأنك لم تفكر فى أن تنجو بنفسك وعمدت إلى مساعدة هؤلاء الأشخاص على الهرب ..

لكن براعتك وجرأتك لن تنجياك ولن تنقذهم من الموت ..

وفى تلك اللحظة حدث ارتجاج قوى فى أرجاء المكان .. وبدت الأرض كما لو كانت تتزلزل تحت أقدامهم .

ألقى (ممدوح) نظرة سريعة على ساعته ..

بينما هتف (شيكو) وقد اعتراه بعض الاضطراب ..

ـ ما هذا ؟

ـ إنه الصاروخ الذى أقامه الاسترتانيون والسلفادوريون فى تلك القاعدة ، التى تقع بالقرب من هذا المكان ..

لقد زودته بعدد من القنابل الزمنية .. لتنفجر فى هذا التوقيت ، الذى أتى مناسبًا تمامًا .. وينفجر معها الصاروخ ليصبح كأن لم يكن ..

وأخذ الهنود يصيحون .. وهم فى حالة من الذعر ، فى حين بدا أعوان (شيكو) فى أشد حالات الاضطراب .. بعد أن بدأت صخور السرداب تنهار تدريجيًا أمامهم وفوق رءوسهم ..

وحاول (شيكو) أن يبدو متماسكًا وهو يصيح فيهم ..

ـ لا تفروا كالفئران المذعورة !

وارتدع الرجالِ قليلاً تحت تأثير نبرات (شيكو) الصارمة لكن تزايد انهيار الأحجار داخل السرداب .. جعلهم لا يأبهون ويندفعون إلى الهرب فى كل الاتجاهات ....

وكذلك تدافع الهنود للهرب ، بعد أن أحسوا بأن كهوفهم وسراديبهم ، على وشك أن تنهار تحت ضغط انفجار الصاروخ ..

قال (ممدوح) لمن معه :

ـ فلنسرع بالهرب إلى ذلك الكهف الذى يحتوى على السبائك الذهبية ..

واندفع بعضهم عبر الفتحة الموجودة فى الجدار إلى المنجم الذهبى ، بينما تناول (شيكو) أحد المدافع الآلية التى خلفها أعوانه ، وصوبها نحو (ممدوح) وبعض من تبقى معه قائلًا :

ـ لن أسمح لكم بالهرب .. سأدفنكم فى هذا المكان ..

لكن انهيارًا مفاجئًا لسقف السرداب منعه من تنفيذ تهديده وجعله يدفن تحت كتل الصخر والكميات الضخمة من الأتربه التى أخذت تنهال عليه .

قال (ممدوح) لـ(بابلو) و(عادل) :

ـ فليتناول كل منكما ما يستطع الحصول عليه من الأسلحة .

قال له (عادل) :

ـ لا وقت لذلك .

قال (ممدوح) وهو يتناول أحد المدافع الآلية من بين الأحجار والأتربة :

ـ ربما استفدنا منها فيما بعد .

واندفع بدوره عبر الفتحة الموجودة فى جدار السرداب ، يتبعه (عادل) و(بابلو) .

بينما لم يتمكن البعض من اللحاق بهم على إثر انهيار جديد لسقف السرداب ودفنهم أحياء .

وطلب (ممدوح) من المجموعة التى تمكنت من النجاة أن يقفزوا إلى داخل العربات التى كان بعضها محملاً بالسبائك الذهبية .. ثم أسرع باعتلاء القاطرة وإدارتها ؛ لتدفع القطارات خلفها فوق القضبان المعدنية ..

بينما كانت الانهيارات تتوالى داخل السراديب والكهوف .. والتفت (ممدوح) خلفه وهو يطلق زفرة قوية .. شاكرًا الله .. فما إن تحركت القاطرة بالعربات ، حتى حدث انهيار قوى خلفهم ، اختفت تحته القضبان المعدنية والسبائك الذهبية .

ومالبث أن تنفس الصعداء عندما وجد القاطرة تغادر السراديب ، متخذه طريقها خارج فتحة المنجم ، لتنطلق عبر الأحراش ..

* * *

توقفت القاطرة بالقرب من الحدود المجاورة حيث كان أعوان (شيكو) .. فى انتظارها .

لكن ما إن ألقوا نظرة داخل العربات ، حتى تراجعوا إلى الخلف وعلامات الدهشة مرتسمة على وجوههم .

فقد وجدوا (ممدوح) وزملاءه يبرزون لهم من داخل العربات شاهرين السلاح فى وجوههم ، وهم يأمرونهم برفع أيديهم عاليًا ..

وتمكن (ممدوح) وزملاؤه من الهرب عبر الحدود إلى الدولة المجاورة .. حتى وصلوا إلى منطقة آمنة .

وهناك صافح (ممدوح) (بابلو) وأخاه اللذين استعدا للعودة إلى قريتهم ..

قائلاً لـ (بابلو) :

ـ يسعدنى أننى التقيت بك وأسهمت فى مساعدتك على العثور على أخيك ..

صافحه (بابلو) بإعجاب قائلاً :

ـ وأنا أيضًا سعيد بأننى التقيت برجل شجاع وبطل مثلك .

والتفت (ممدوح) إلى الأسترتانيين الأربعة الذين نجوا قائلًا :

ـ أعتقد أن هذه هى المرة الأولى التى نتعاون فيها

معًا برغم العداء التقليدى بيننا .

قال أحدهم :

ـ إن كلمة التعاون كلمة متواضعة .. ويتعين علينا أن نقرر أنه كان لك الفضل فى مساعدتنا على الهرب ، وإنقاذنا من الموت .

لذا اسمح لى برغم العداء التقليدى القائم بيننا ـ كما قلت ـ أن أصافحك ، وأشكرك أنا وزملائى .

وصافحهم (ممدوح) قائلًا :

حسن .. نستطيع أن نفترق الآن هنا .

واستقل (ممدوح) الطائرة عائدًا مع زميله (عادل) إلى القاهرة ، وهو يستعيد خلال غفوته القصيرة تفاصيل المغامرة المثيرة ..

* * *

(تمت بحمد الله)

المؤلف



ا . شريف شوقى

الأرض الملعونة

طلب (ممدوح) من الناجين أن يقفزوا إلى العربات المحملة بالسبائك الذهبية ، ثم أسرع باعتلاء القاطرة وإدارتها بينما الإنهيارات تتوالى خلفهم ..



إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

العدد القادم

السلاح المدمر

الثمن فى مصر
١٢٥ ص
وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم